شرفات

العدد - (21)
أكتوبر 2025 م
ربيع الآخر 1447هـ

ملحق شهري يصدر عن مجلة «اليمامة» يُعنى بالشؤون الثقافية والأدبية.

محمد السيف
ملف خاص .

د. سهام العبودي
مغتسل.

د. بدور الفصام
كيف غيَّر «تيك توك» مصير الكلمات؟

معرض الكتاب..

المعرفة تحلِّق .

شرفات

إشراف:عبدالعزيز الخزام

العدد (21) - أكتوبر 2025 م - ربيع الآخر 1447هـ

42 الدكتور سعد البازعي يكتب عن مواسم العودة الى الوطن

36 عدنان العوامي : الطائر من جلوس.

38 علي العميم: المؤرخ والأديب

58 علي بافقيه في قصيدته الجديدة

59 أحمد البوق: بين آهٍ وآها

51 د.عبدالله العمري: أم الهايكو وأمنا الروحية

56 صابرين البحري: الكتب وملامح الانسان

60 حامد بن عقيل: نصوص جديدة

أما قبل

عبدالعزيز الخزام

بين التجربة الجماعية والمثقف المنتج.

يشهد المشهد الثقافي هذه الأيام نشاطا لافتا، يتجلى في تنوع الفعاليات وثراء النقاش حولها، كما في معرض الرياض الدولي للكتاب الذي يختتم فعالياته نهاية هذا الأسبوع بعد موسم حافل بالحضور والتفاعل. في كل دورة من دوراته، يتحول المعرض إلى مساحة لاختبار نبض الثقافة المحلية، ويضيء في الوقت نفسه على الملاحظات التي تدفع بالتجربة إلى الأمام.

في هذا العدد من شرفات نتابع المعرض من زوايا مختلفة؛ من الميدان حيث تتقاطع الانطباعات والتجارب، ومن خلال قراءة نقدية صريحة عبّرت عنها الكاتبة والشاعرة نادية السالمي، التي تناولت أبرز ملاحظاتها على البرنامج الثقافي المصاحب، مستلهمين في قراءتنا هذه تصريح رئيس هيئة الأدب والنشر والترجمة الأستاذ عبداللطيف الواصل، الذي رحّب بالنقد وأكّد أن جميع تفاصيل المعرض ستتم مراجعتها وتحليلها بعناية، في خطوة تعكس وعي المؤسسة الثقافية بأهمية التقييم المستمر والتطوير.

أمّا ملف هذا العدد، فنقدّم فيه نموذجا مضيئا للمثقف المنتج: محمد السيف، الذي جمع بين الفكر والعمل، وأسهم في إطلاق مشروعات ثقافية تركت أثرها الواضح في المشهد الأدبي السعودي. نستعرض سيرته ومسيرته بوصفها نموذجا للتوافق بين الفكر والعمل ومرآة لجيل من المثقفين كانت الثقافة لديهم اطارا للممارسة اليومية وقيادة المجتمع نحو التنوير.

من أروقة المعرض حيث تتناثر المعرفة والحكايات، إلى مسيرة المثقف المنتج الذي يصنع الثقافة عمليا، يبرز الدور الحيوي للمبادرات التي تتوالى وتنثر الضوء والمعرفة. وهذا ما نسعى إليه في شرفات، بتقديم صورة حية للمشهد الثقافي السعودي تجمع بين التجربة الجماعية والمثقف المنتج.

aalkhuzam@yamamahmag.com

46

مقالات ونصوص لـ: عبدالمحسن يوسف، ابراهيم زولي، نجوي العتيبي، فوزية الشنبري، أسماء العبيد

الحدث

معرض الرياض الدولي للكتاب يختتم فعالياته.. السبت

حضور جماهيري مكثف.. وتحديات جديدة في التنظيم والبرنامج الثقافي.

اليمامة- خاص

تختتم يوم السبت القادم فعاليات معرض الرياض الدولي للكتاب 2025، بعد أيام من النشاط الثقافي المكثف وحضور جماهيري واسع، مؤكدا مكانته كأحد أبرز الأحداث الثقافية في المملكة والمنطقة العربية.

شهد المعرض مشاركة واسعة لدور النشر المحلية والعربية والدولية، إلى جانب الهيئات الثقافية والجامعات، مع حضور جمهورية أوزبكستان كضيف شرف.

رغم التنظيم الجيد واتساع الفضاءات، شهد المعرض بعض التحديات في حركة الزوار، من ازدحام البوابات إلى صعوبة الوصول للمواقف وحدود وسائل النقل الترددي، إضافة إلى ارتفاع أسعار بعض سيارات الأجرة الخاصة.

وعلى صعيد البرنامج الثقافي، تميز التنوع في الفعاليات وكثافة الجلسات، إلا أن بعض الموضوعات التقليدية استحوذت على الحيز الأكبر من الندوات، مع تكرار مشاركة بعض الأسماء، فيما غابت بعض القضايا الحديثة عن عناوين البرنامج.

رغم ذلك، فقد نجح المعرض في ان يكرس نفسه كمنصة ثقافية مهمة للقاء الإنتاج الفكري المتنوع، مع توفير أجنحة ومساحات للتفاعل والاطلاع، مؤكدًا مكانة المملكة كوجهة ثقافية عالمية تجمع بين الحرف والإبداع والمعرفة.

رئيس هيئة الأدب للزميل السماري:

جميع تفاصيل المعرض ستتم مراجعتها

قال رئيس هيئة الأدب والنشر والترجمة، الأستاذ عبداللطيف الواصل، إن جميع تفاصيل معرض الرياض الدولي للكتاب ستتم مراجعتها وتحليلها بعناية.

وأضاف الواصل في مداخلة هاتفية مع الزميل أحمد السماري أن النقد سيُعطى مكانته قبل الإشادة، وأن جميع التفاصيل المتعلقة بالمعرض ستُمحّص لضمان تحسين التجربة الثقافية للمشاركين والزوار.

وكان المعرض قد افتتح ابوابه يوم الخميس الماضي، وهو يختتم يوم السبت القادم، بعد أيام من النشاط الثقافي المكثف ومشاركة واسعة لدور النشر المحلية والعربية والدولية، وهيئات ثقافية وجامعات من داخل المملكة وخارجها.

مركز الملك فيصل يشارك في معرض الرياض الدولي للكتاب 2025.

يشارك مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في معرض الرياض الدولي للكتاب 2025، الذي يُقام خلال الفترة من 2 إلى 11 أكتوبر، من خلال جناحه رقم 20-A، حيث يقدّم لزواره مجموعة من أبرز إصداراته العلمية والثقافية التي تعكس رسالته في نشر المعرفة وتعزيز حضور الثقافة العربية والإسلامية.

ومن الكتب التي يشارك بها المركز كتاب "أخبار النساء"، الذي يشكّل إضافة علمية بارزة في مجال الدراسات التراثية، مستعرضًا قضايا المرأة عبر التاريخ الإسلامي، وهو الفائز بجائزة الشيخ زايد للكتاب في فرع تحقيق المخطوطات لعام 2025. كما يشارك بكتاب "إمبراطورية الحضارة" الذي يطرح قراءة نقدية لمفهوم "الحضارة" وكيفية تحوّله إلى أداة أيديولوجية لتبرير الاستعمار والسيطرة الغربية.ويقدّم المركز أيضًا كتاب "الكتابات العربية القديمة: مدخل تاريخي"، الذي يوثق مسيرة الكتابة منذ الرموز الأولى وحتى تبلور الخط العربي، إلى جانب كتاب "درء القول القبيح بالتحسين والتقبيح" للإمام نجم الدين الطوفي (ت 716هـ)، أحد أبرز كتب أصول الدين وأصول الفقه في طبعة علمية محققة.

كما يتيح المركز لزواره اقتناء مجلة "الدراسات اللغوية" في إصدار فاخر يجمع 54 مجلدًا تشمل 108 أعداد، لتشكل بذلك أكبر موسوعة علمية محكّمة متخصصة في النحو والصرف واللغة.

وأعلن المركز عن قرب صدور الترجمة الإنجليزية من كتاب "الصحراء العربية" للدكتور سعد الصويان، إلى جانب كتاب جديد بعنوان "التحول الثقافي في دراسات الترجمة"، للباحث الصيني البروفيسور وانغ نينغ، في استمرار لجهود المركز في تقديم إصدارات نوعية تعزّز الحوار الثقافي والمعرفي عالميًا.

تكرار الأسماء والمواضيع أبرز الملاحظات.. والمطلوب ابتكار وصناعة نجوم ثقافيين جدد

نادية السالمي

الكاتبة والشاعرة نادية السالمي من الأسماء البارزة، تتفاعل مع الأحداث الثقافية وتعلن رأيها بصراحة ووضوح. ولعل آخر مداخلاتها كانت مع الكاتب حمود ابوطالب، الذي تحدث عن غياب الروائي عبده خال عن معرض الرياض الدولي للكتاب، ما فتح الباب أمامنا لسؤالها كيف تابعت انطباعات الجمهور الثقافي حول المعرض وبرنامجه المصاحب؟

وما هي رؤيتها للطريقة التي يمكن للمعرض ان يوثّق بها العلاقة بين الأدباء أنفسهم، وبينهم وبين الجيل الجديد؟

وفيما يلي، اجابات نادية السالمي عن هذه التساؤلات، مستعرضة رؤيتها وآراءها حول التجربة الثقافية للمعرض:

الملاحظات التي لمستها في هذا المعرض (2025م) من خلال البرنامج المعد، أعزوها إلى النتيجة التراكمية للمعارض السابقة، التي لم يؤخذ فيها باقتراحات وملاحظات المهتمين به، وبالشأن الثقافي.

يحاول رئيس هيئة الأدب والنشر والترجمة الدكتور الواصل التأمل في تلكم الملاحظات؛ فعمد إلى الاتصال بأحد من تركوا بصمة نقدهم على المعرض، ويقيني أن سعادة الدكتور يقرأ للجميع.

هذه البقعة من العالم العربي «بلادنا» قدرها الوعي منذ الأمر بـ «اقرأ»، فالقراءة كانت وما تزال بوابة الثقافة، والمنهج الأصيل لكل الحضارات. والرياض حين تفتح معرضها تشرّع للراغبين، مناهل الوعي والمعرفة في البلاد، وبقية الأمصار، لهذا يجب على القائمين على معارضها أن لا يضنوا على الرياض بالابتكار والجديد، وصناعة النجوم في شتى المجالات الثقافية.

سؤالك الأوّل: دائمًا ما تتباين آراء الناس حول ما يقدّم لهم، وهذا حقهم، ومن يخدم الناس ويتولّى أمرهم، عليه أن يتسع صدره، مباعدًا عن تصنيفهم، وفاطنا إلى أخذ آراءهم بعين الاعتبار، معيدا إليها النظر ما أمكنه ذلك.

لن أعلن سرًا إن ذكرت، أن أغلب الملحوظات على المعرض كانت من مثل:

- التكرار، تكرار الأسماء المشاركة، وفي هذا رسالة ضمنية خاطئة، أن البلاد فقيرة من ناحية الكوادر المبدعة.
- تكرار المواضيع والمضمون، وغياب الابتكار؛ وهذا تضييق على الثقافة، وفقر ما عُرفت به.
- غياب استضافة الصحافة الثقافية، والصحفيين أصحاب الباع الطويل سعوديًا وعربيًا.
- غياب رموزنا الثقافية، وغياب الرموز العربية وغير العربية وغياب دعوتهم.
- خلو المعرض من حفلٍ لتوقيع كتاب عربيّ، أو دار عربية عريقة.
- أحب أن أنوّه أن ما يحدث للأسف من استنساخ الأسماء، يحدث لأن القائمين على البرنامج لا يملكون قاعدة بيانات، تمكنهم من معرفة أسماء غير تلك التي يعرفون، ويدركون أنها مستقر الضوء. يريدون أسماء جاهزة، في حين أن من الأفضل بروز أسماء سعودية وعربية من خلال المعرض؛ لأن مكانة الرياض تخولها لأن تكون منبعًا للضوء، وصناعة النجوم.

وصناعة النجوم تكون بدمج هذه الأسماء الجديدة مع أسماء معروفة، ما يحقق لها القفزة التي تحتاجها، طالما هي تملك أدواتها، وفي هذا خير للمعرض والقائمين عليه والأسماء المشاركة.

- هناك غياب تام لشاعرة الشعر الشعبي.
- الجامعات تنضح بأساتذتها في شتى العلوم والمعارف، ولا ترى إلّا أسماء بعينها تقود أكثر من أمسية.
- بعض الورش تكررت في كل المعارض السابقة كفرض الصلاة.
- هناك فقر في ابتكار المحتوى، حتى أن نجوم البرامج التلفزيونية أعادوا تدويرها في صورة ندوات حوارية.
- غالب البرنامج معدة لليافعين والأطفال، والمواضيع التي تجذب المثقف المتمرّس غائبة تماما.

ما نرغب فيه كمتابعين للمعرض لا يصعب على القائمين على البرنامج؛ ضوء وفرصة تتوزعان على الكوادر الجديرة والجديدة، فاحتكار الضوء على أسماء بعينها سوء تقدير، وهدر للمال والكوادر، وتقليد أعمى، وعمل لمجرّد العمل.

سؤالك الثاني عن أساتذتنا وجعه أمضى من سؤالك الأول، أنا أؤمن بمصطلح «النخب» وأؤمن بدورهم، وإن اختلفت معهم.

من غير المنطقي أن نبني جسورًا مع الكِتاب، ولا يتسنى لنا بناؤه مع الإنسان.. وأي إنسان؟!

من له منجزات ثقافية وأدبية، وأطروحات وآراء أُخذ بها، ومن خلالها تعلمنا البحث في الجدوى، وقيمة الفكرة، ورصانة المعنى، واختلافنا مع هذه الرموز لا يقلل من قدرهم؛ فالفكرة ثوبها ضافٍ ومجبول على التمدد والاتساع.

وفي تقديم الدعوات لحضور المعرض اعترافٌ بقدرهم، وفرصة للحوار، وتبنّي آراء تعمل على رأب الصدع تخص الثقافة، وأمن الوطن، والإنسان، وفكرة العالم عنا وفكرتنا عنهم، فرصة لرؤية القارئ أو المبدع الجديد، ربان الثقافة غدًا.

مواقع التواصل للأسف زادت هوة المسافة ولم تقرّبها، بنت أبراجًا وهمية، وفرضت حجابًا يعيق فهم الآخر، بل ويلوّن نواياه، في أحايين كثيرة، بين أبناء الوطن الواحد، وبين أبناء العالم العربي؛ فلغة التفاهم، والود الذي لا يفسده اختلاف تخندقت في زوايا سوء الفهم، وإحباط وصول الفكرة.

والأكثر من هذا، أن الجيل الجديد بحاجة إلى أن يعرف من سبقوه عن قرب، يحاوروهم، يرفض فكرهم، أو يتعلم منهم التواضع إن وجد، أو ما كان منهم من ، نهم المعرفة والقفز بالفكرة، الجرأة في الطرح، دون إسفاف، بحاجة إلى إتقان فهم أن فكر هذا المثقف يتغير، ليس لأنه منافقٌ، بل لأن الخبرة تجلو البصيرة، والخطأ من الإنسان ركن الأساس في تكوينه.

لا شك أن بلادنا غنية برموزنا، والوزارة لا تستطيع جمعهم على صعيد واحد، لمدة أيام المعرض العشرة، وأرى أن ثلاثة أيام تكفي للاستضافة، تأتي مجموعة، وتذهب أخرى.

نقطة أخيرة:

معرض الكتاب للجميع، يختلط الصغير بالكبير، أهل الهامش بالمتن، الصف الأول بالأخير، أصحاب ثقافة الصورة، بأصحاب الثقافة التقليدية، الضوضاء، فيه هي مخاض لرموز تتخلّق فيه، وليس هذا موطن للسكينة والهدوء، هذه الخاصية تتوفّر في المكتبات، وهي مفتوحة على مدار اليوم.

ما ذكر بعاليه رأيي، الذي أظن وجاهته، لا أرجو عليه شكري، ولا توبيخي، إنما أرجو مصلحة الثقافة، التي أرجو لها أن لا تخون سعتها وسمعتها.

الملف

صحفي وباحث وناشر رائد في المشهد الثقافي المحلي..

محمد السيف: التاريخ ليس كتاباً مقدساً.. وأريد ذكراً صادقاً بعد الرحيل !

حاوره: علي مكي

يمثل محمد بن عبد الله السيف نموذجًا بارزًا للمثقف المنتج. فهو رئيس تحرير، وكاتب سير، ومؤرخ، وإداري، وناشر. بدأ مسيرته الصحافية متدرجًا حتى شغل منصب رئيس تحرير، لكنه لم يقتصر على العمل الصحافي، بل توسع ليشمل البحث والتأليف والتوثيق والنشر، مع تركيز واضح على كتابة السير والمراجعات التاريخية التي تعكس تاريخ المشهد السعودي الحديث.

ساهم السيف عبر مؤلفاته المتنوعة وإصداراته في توثيق الشخصيات والمراحل الثقافية والفكرية في المملكة، مقدمًا محتوى يجمع بين البحث الجاد والمنهجية الدقيقة، كما أسس دار جداول، التي أصبحت أحد أبرز دور النشر السعودية والعربية، ملتزمة بالنشر المسؤول والمعايير البحثية العالية.

يعد السيف أيضًا رئيس تحرير المجلة العربية، ومرجعًا في إدارة المشاريع الثقافية، بما في ذلك تطوير محتوى النشر والتوثيق التاريخي عبر منهجية استقصائية دقيقة، ما يعكس دوره في بناء سردية وطنية تاريخية ودعم الصحافة الثقافية والبحث العلمي في المملكة.

يقدم هـذا الملف حوارًا خاصًا مع الأسـتاذ محمد السيف، إلى جانب شـهادات مـن متابعيـن وزملاء يبرزون أثره في المشهد الثقافي، ويعرض جوانب مسيرته الصحافية والبحثية والنشـرية بشكل مهني وموضوعي.

لا يشـبه محمد السـيف غيره من الكتّاب الذين عبروا دروب الصحافة والثقافـة، فهو القـادم من بيئة بسـيطة في الزلفي، والذي حمل منـذ بداياته مكتبـة والده كجواز عبور إلى عوالم الكتابة والتأريخ. في هـذا الحوار، لا يفتح السـيف أبواب ذاكرتـه كلها، بل يترك لنا ممرات ضوء ودهشـة، تكفي لأن نشعر أننا أمام سيرة حيّة، تكتبها التجارب بقدر ما يكتبها صاحبها. ما بين الانضباط الشخصي، وشغف التوثيق، والقدرة على الغوص في تفاصيل الآخرين دون أن يغرق في هوامش نفسه، يتشكل نصّ طويل عن المعرفة، والوفاء للثقافة، والبحث الدائم عن أثر باق.. هنا نص الحوار:

مكتبة منزلية

• مـن الزلفـي إلى رئاسـة تحرير المجلـة العربية. ماذا عن البدايات وأبرز التحولات؟

في الزلفي نشأتُ كغيري من أفـراد جيلي ضمـن مجتمع متجانس في مجمله، قوامه الحياة البسيطة والهادئة. وقد نشأتُ في بيت عماده الحزم والانضباط. كان والدي مديرًا لإحدى المدارس، ولديه مكتبة منزلية، كانت هي الأساس في التأسـيس الثقافي والقراءة والاطلاع. قرأتُ فيها بعض الكتب الأدبية وبعض دواوين الشعر العربي، الفصيح والنبطي. وكانت تصلنا مجلات ثقافية بشكل منتظم، مثـل: اليمامة، والعربي، ومجلة الحرس الوطني. والغريب أن «المجلة العربية» لم تكن ضمن تلك المجلات، لذلك تعرفتُ عليها في وقت متأخر من المرحلة الثانوية.

من أبـرز التحولات في مسـيرتي الصحافية هو عملي في «الشركة السـعودية للأبحـاث والإعـلام» (srmg)، وهي كما تعلم واحدة من كبرى المؤسسـات الصحافية في العالم العربي، وقد انضممتُ إليها مُعارًا ثم متفرغًا لأعمل في مجالين: الأول إداري ليس هنا مجال تفصيله. والثانـي: صحافي ثقافي، ابتدأتُه مُحررًا ثقافيًا في صحيفة «الشرق الأوسط» في مكتبها بالرياض، ثم عملتُ رئيسًا للقسم الثقافي في جريدة «الاقتصادية»، وقد عملنا على إصدار مُلحق ثقافي أسبوعي، يصدر كل ثلاثاء، استمر عدة سنوات. كما كنـتُ أقوم بعمل بروفايلات صحافية عن عددٍ من الشخصيات الإدارية والاقتصاديـة والثقافية، فضلًا عن كتابة مقالة أسبوعية في الصفحة قبل الأخيرة. وأُدين بكثير من الشكر والامتنان لتلك السنوات الجميلات التي قضيتها في الشركة، كما أجدها فرصةً لشـكر عدد من الذين وقفوا معي وساندوني من الأصدقاء والزملاء، داخل الشركة وخارجها، ولعلي أذكرهم بالأسماء، وبشـيء من التفصيل في موضع آخر.

كما لا أنسى محطة «إيلاف»، التي عملـتُ فيها محـررًا صحافيًا من يومهـا الأول. وقـد نشـرتُ فيها العديد مـن الأعمـال الصحافية، أبرزها السلسلة المطوَّلة التي كتبتُها عن عبـدالله الطريقي، وهي التي كانت أساسًا لكتابي: «عبدالله الطريقي صخور النفط ورمال السياسة»، وكذلك السلسلة المطوَّلة الأخرى عن عبدالله القصيمي، والتي أتمنى أن تتطوَّر هي الأخرى إلى كتاب في المستقبل القريب. أيضًا هناك محطـة «دار جداول» والحديث عنها يطول.

> *كل الذين كتبتُ سيرهم يستحقون الكتابة والتدوين والإنصاف
>
> *بيني وبين الوصايا عداء قديم، بسبب ما كنا نعيشه أثناء مرحلة الصحوة
>
> *نحن أمام تحوَّل مفصلي طال المكوِّن الثقافي شكلاً ومضمونًا

المعرفة الواقعية

• كثير من مشاريعك تنطلق من السـير الذاتية والتأريخ للشخصيات. ما الذي يجذبك لهـذا اللـون مـن الكتابة تحديدًا؟

كل أشكال المعرفة جديرة بالاطلاع، ولكل ذائقة اهتمام خاص تسعى نحو إشباعه، لهذا وجدتني كما تفضَّلت مُهتمًـا بعوالم السـير والترجمة للشـخصيات قارئـاً أولًا ثم كاتبًا. لقد بدأتُ في منتصف التسعينات القراءة المكثفة لما يُنشر ويترجم من سيَر لشخصيات غربية، وعربية، قادة وساسة ومفكرين. ولا أخفيك

أنَّ كتابين قد حفَّزاني للبدء في الكتابة والتأليف، وهما كتاب «كمال جنبلاط الرجل والأسطورة»، للكاتب الروسي إيغور تيموفييف، وكتاب « بورقيبة سيرة شبه محرَّمة» للكاتب التونسي الصافي سعيد.

وفي تقديري أن مثل هذا النوع من المعرفة يُحقق جملة من الإفادات، منها الوقوف على خلفيات تلك الشخصيات، ومعرفة ظروف تكوينها ونشأتها، والمناخ الثقافي والسياسي والاجتماعي المصاحب لها، والإفادة من حصيلة ما تشكَّل عبرها، وذلك ضمن إطار من

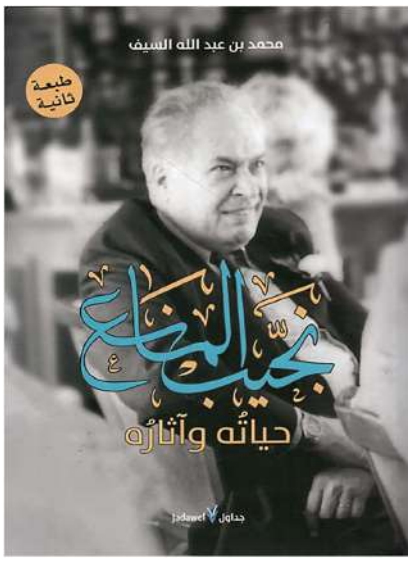

المعرفة الواقعية لا التخيُلية.

أهميّة السيرة

• حين تكتب عن الشخصيات، هل تراها مرايا لزمنها أم تحاول إنصافها؟

في نظري فإن كل حياة هي قابلة لأن تكون سيرة ذاتية، يكتبها الشخص نفسه أم يدوّنها غيره عنه، لكن تتنامى أهمية السيرة كلما كان ارتباطها بالشأن العام أكثر قُربًا، أيًّا كان هذا الاقتراب، إما بشهرة في المجتمع، أو مسؤولية رسمية، أو أثر فعلي أسهم في تحقيقه. وفيما أتناوله من شخصيات أذهب نحو تقديم الأثر، وتتبُّع المسير، واستقصاء التفاصيل بعناية، وإن كان ثمة إرهاق، لكنه يُحقق لي أعلى درجات المتعة والانتشاء. والحق أنني أنطلق من الدافعين معًا؛ كونها مرايا لزمنها، وأيضًا لإنصافها، وتقدير دورها، والتذكير به لأجيال قادمة.

الجرأة الأدبية

• هل ترى أن التاريخ يمكن أن يُكتب بالإنصاف الكامل، وكيف توازن بين الإعجاب بالشخصية وبين التزامك بالموضوعية؟

التاريخ ليس كتابًا مقدسًا، ففيه يحصل الخطأ والتقصير، وربما الهوى وغايات النفس. أحاول جاهدًا

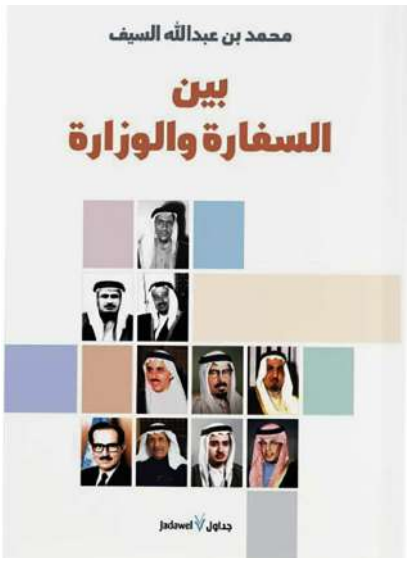

حينما أكتب التنقيب أولًا عن الوثائق والمصادر، وأسعى مخلصًا لتحرّي الحقيقة، ولعلي امتلكتُ فيما كتبتُ «الجرأة الأدبية» على طرح تلك الحقيقة، مُستحضرًا دائمًا النزاهة عن كل تعصُّب. وهذه زوايا يعرفها القارئ، ولديه القدرة على تقييم مستوى هذا المنتج عن ذاك.

أما ما يتعلق بالإعجاب بالشخصية، فبكل تأكيد لن أكتب عن شخصية، ما لم أجدها حقيقة وجديرة بالكتابة، كونها قدَّمت ما يستحق الكتابة والتدوين والإنصاف.

التحولات الثقافية في السعودية

• هل هناك شخصية حلمتَ أن تكتب عنها لكنك تراجعت، ربما لثقلها أو لخشيتك من صراع مع الواقع؟

كل فكرة قابلة للكتابة. والسؤال يظلُ حول أسلوب ما تريد أن تكتبه. هذه القاعدة تتيح لكل فكرة أن ترى النور، لهذا لا أتهيَّب الكتابة عن أي شخصية. وبكل تأكيد هناك شخصيات كثيرة أتمنى أن أنجز الكتابة عنها قريبًا، لكن انشغالات الحياة وارتباطاتها قد تؤخر بعضًا منها.

• قلتَ إنك تؤمن برسالة في الحياة وإلا (لتحطمت منذ زمن بعيد). هل هذه الرسالة دفاع عن الأفراد أم عن الفكرة الأكبر: الوطن والثقافة؟

من لا قضية له لا أثر له، وقضيتي التي تلخص حياتي وأحلامي هي المعرفة؛ قراءةً وتأليفًا وتشجيعًا وإسهامًا عبر كل المحطات الشخصية والرسمية. ولعل دار جداول تعبِّر عن قضيتي الأولى، وعبر هذه القضية أمضي لخدمة ثقافة وطني ورجالاته ومراحله.

• كيف تقرأ التحولات الثقافية في السعودية اليوم؟

رؤية 2030 التي باركها مولاي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، وهندس مفاصلَها بقيادة فذة وحكيمة، سمو سيدي ولي العهد، الأمير محمد بن سلمان - حفظهما الله – تعبِّر في مجملها عن تحوُّل ثقافي كبير، يشمل الثقافة المجتمعية، وثقافة الأداء المؤسسي بصورة عامة، لهذا نحن أمام تحوُّل مفصلي طال المكوِّن الثقافي، شكلًا ومضمونًا، وأسهم في خلق نموذج جديد، قوامه روح العصر التي تنتظم الأجيال الجديدة في فلكه.

العزلة سعادة ومتعة

• حين تنقّب في حياة الآخرين وتكتب تفاصيلهم، كيف تنجو من أن تتحوَّل حياتك أنت إلى «ظل» أو «هوامش» مقارنة بسِيَرهم؟

هل سيعلق في يقيني من سيَر تلك الشخصيات التي كتبتُ عنها شيئاً؟ نعم. ولكم عشتُ في وجداني مع

موقف أو حادثة عصيَّة على التجاوز. على الجانب السلوكي سير وتجارب الآخرين هي دروس مجانية لنا، نستفيد منها ونتعلم من آثارها. تبقى فكرة الهامش والمتن التي وردت في سؤالك، والحق أنها فكرة لا أُعيرها اهتمامًا، فلكل شخصية هويتها الخاصة التي تكتسب عبرها قيمها ومكانتها.

• هل ترى نفسك في يوم من الأيام مشروع «سيرة مكتوبة»؟ وإن كان نعم، من الكاتب الذي تأتمنه على حياتك؟

هذا السؤال يوجه إلى غيري، فالآخرون هم من يقيّمون تجارب الآخرين. ولو علمت من هو هذا الذي سيرى في تجربتي ما يستحق الكتابة لأخبرتك على الفور.

• كيف تنجح في الموائمة بين التزاماتك المهنية في الكتابة والتاريخ، وبين حياتك الخاصة وإنسانيتك اليومية؟

في موضوع الموائمة الموازنة بين المسؤوليات العملية والاجتماعية وبين الإنتاج الكتابي، أعودُ إلى مقولة خالدة في يقيني منذ سنوات، للدكتور غازي القصيبي، رحمه الله، حينما قرأتُ له ما معناه، أنه حينما تستسلم للواجبات الاجتماعية ولجلسات الأصدقاء و«الشلة» و«الاستراحة»، سوى في حدوها الدنيا، فلن تتمكَّن من إنجاز معرفي معتبر. هذه المقولة صدقًا لا أتذكر أين ومتى قرأتها، لكنها أصبحت نبراسًا جعلني ألوذ بعزلة، اخترتها لنفسي وقد منَحتني سعادة ومتعة لم أجدها في غيرها.

الاختيار للقارئ

• يعتب عليك البعض بأنك نادرًا ما تحضر في المناسبات والفعاليات الثقافية والأدبية، فما مرد ذلك؟

هذا صحيح، وحق لهم أن يعتبوا. أُعيد هذا التقصير إلى انشغالي العملي وما يتصل به من قراءة وتأليف ونحوهما، وأستثني من هذا تلك الفعاليات التي تتقاطع مع اهتماماتي، إذ أحرص على حضور ما تيسر منها. وحينما كنتُ عضوًا في مجلس الهيئة العامة للثقافة سابقًا ثم عضوًا في مجلس هيئة الأدب والنشر والترجمة في الفترة الأولى لم أحضر أيَّ فعالية أقامتها هاتان الهيئتان، رغم ميزات ما كان يُعرض حينها، وكذلك الحال حينما كنت المشرف العام على مركز الملك فهد الثقافي، إذ لم أكن أحضر من فعالياته إلا ما ندر، ليقيني بأنها أُعدّت لجمهور لستُ منه. وأذكر أن الأستاذ سعد الدوسري كتب مقالاً بزاويته في صحيفة الجزيرة تحت عنوان (هل نحن في الرياض؟) أشاد فيه بالفعاليات مشيرًا إلى أنه لم يكن يرى محمد السيف في الفعاليات التي حضرها، في الصف الأول، إنما في الصف الأخير ضمن فريق العمل المنظِّم.

• ماذا تريد أن يبقى من محمد السيف بعد رحيله: كتبه، أم أثره في الذاكرة الثقافية، أم شيء آخر أعمق؟

أريد أن يبقى محمد السيف كما هو، دون عمليات تجميل أو تشويه، أقول هذا لأنني حاولتُ أن أعيش الصدق في حياتي، لهذا أريد ذكرًا صادقًا بعد الرحيل. هذا الصدق يشمل مسيرة الصحافة والكتابة والإدارة والنشر والتأليف، أما حياتي الشخصية فيجوز لذويها ما لا يجوز لغيرهم.

• إن كان لديك وصية فكرية للأجيال القادمة من الباحثين والكتاب. ماذا تقول؟

بيني وبين الوصايا عداء قديم، أظن أن أصله يعود إلى ما كنا نعيشه أثناء مرحلة الصحوة، التي كانت تمطرنا بالوصايا صباح مساء، لقد ألغيتُ الوصايا من حياتي، خاصةً في مجال الثقافة والقراءة. وإن أردت أن أوصيك صديقي علي، فوصيتي هي ألا توصي أحدًا. دع القارئ يختار ما يشبع حاجاته الثقافية والفكرية دون وصية ولا وصاية.

• كلمة أخيرة لمن توجهها؟

إلى مجلة «اليمامة»، العريقة والممتدة فكرًا وثقافة وأدبًا على مدى 73 عامًا، من حمد الجاسر إلى عبدالله الصيخان، ومع الشكر الوافر لكل الجهود التي بُذلت ولا تزال في خدمة الثقافة، فإني آمل استمرارها والمحافظة على تاريخها ووهجها وألقها.

ولك أنت، صديقي علي، شكري على كرمك، وبأمل أن نلتقي قريبًا على ضفاف النيل.

الملـف

شهـــادات

السيف الطائر من جلوس.

دعيت للتحـدث في إحـدى النـدوات الثقافية، وكان المستضاف فيها أحد المشاهير، ولسوء الطالع أنه كان من المقربين لي، والحديث في السير في ذاته أطول من قامتي القميئة، فكيف وهو صديق حميم، وفوق ذلك شهير. إن هذا لمن أشد المآزق ضيقًا، وأكثرها حرجًا، فما عسـانى أقول في حقـه دون الوقوع في مَظَنَّتَي المحاباة، والتكرار المعـاد؟ فالأولى دافعها الصداقة، والثانية الشهرة، وأيًا ما كان حديثي عن الأستاذ السيف فلن يخرج عما نكرره من قول كعب بن زهير:

ما أرانا نقول إلا رجيعًا ومعادًا من قولنا مكرورا

وهذا عين ما أنا واقع فيه في هذا الملف، وما يؤكد هذا مفتتح رسالة الدعوة للكتابة فيه؛ فهو يقول بالنص: «تستعدُّ مجلة اليمامة لإعداد ملف خاص عن الأستاذ محمد السـيف رئيس تحرير المجلـة العربية والكاتب البارز في حقل السير والتوثيق الثقافي، ويأتي الملف تقديرًا لمسيرته المتميزة في المشهد الثقافي السعودي، والعربي...».

هذا المقتطف من الدعوة كفاني عبء الإطناب في بيان شهرة الأسـتاذ السيف، مع أنه أقل ما يمكن أن يقال مما هو معروف من سـيرته، وكما قلت فإنني لن آتي بجديد في سيرة رجل طبقت سيرته الآفاق؛ حتى لكأن الشيخ جعفر الخطي عناه دون غيره بقوله:

لم يسر ذكر من تداوله السيـ ـر، وأنت الثاوي وذكرك يسري

أنت كالبدر في محل من الأفـ ـق، ويكسوبضوئه كلّ قطر[1]

فمن ذا الذي يجهل دوره في مجال الإعلام، وإنجازاته، وحُرَفيته إبَّان عمله محرّرًا ثقافيًا في صحيفة (إيلاف)، منجزًا الكثير الرائع من الحوارات، وملفات السير، وفي مجال النشر، لا ينسى دوره في المشاركة في تأسيس دار جداول للنشر والترجمة ببيروت، كذلك ترؤسه القسم الثقافـي في صحيفة (الاقتصادية«، وفي حقل البحث العلمي يشهد له عمله مستشـارًا ثقافيًا في الشركة السـعودية للأبحاث والنشر، وفي مجال الإشراف يقف شاحصًا قي منصب المشرفً العامً على مركز الملك فهد الثقافي، ناهيك عن حقلي البحث والتاريخ، لهذه الأسباب مجتمعة أرانـي مجبرًا على الإتكاء على ما في (قاضي المهمات (كـوكل)، لأن ما أعرفه معروف - بالضرورة - لدى الجميع:

عدنان السيد محمد العوّامي

شيء عن مؤلفاته

1 - عبد اللّه الطريقي: (صخور النفط ورمال السياسة)، صدر عن دار رياض الريّس، 2007. يتناول سيرة الشيخ عبد اللّه بن حمود الطريقي، أول وزير للنفط في المملكة، وهو نسـيج وحده بلا مراء، فقد وثق فيه سيرة رجل من أكثر النخبة الوطنية خبرة في مجال صناعة النفط، ومن أكثرهم إخلاصًا وتفانيًا في خدمة وطنه، وحكومته، ولاسـيما دوره أثناء عضويته في مجلس إدارة شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو)، وما حققه من نجاح في تعديل اتفاقيات النفط بما كفل اسـتعادة حقوق المملكة.

2 - (سيرتهم: صفَحات من تاريخ الإدارة والاقتصاد في السـعودية)، يتناول في سِيَر ست شخصيات سعودية جمعت بينها وحدة العملُ في مجال الإدارة والاقتصاد، وهم الأساتذة والشيوخ وهم:

أ - منير العَجْلاني السياسيُ، والصحفي الأديب، والوزير في سوريا، وكبيرُ المستشارين في وزارة المعارف السعودية.

ب- وعبد العزيز التويجري نائبُ رئيس الحرس الوطني، والإداري الكفوء.

ت - وعبد اللطيف العيسى ، التاجر ووكيل شركة جنرال موتورز.

ث - عبد الرحمن السُبَيعي، وكيلُ بيت المال في شقراء،

وأحدُ رجال الملك عبد العزيز (طيب الله ثراه).
ج - صالح العمير نائبُ وزير المالية والاقتصاد الوطني سابقًا، ومحمد الطويل المدير العام لمعهد الإدارة العامّة سابقًا ،
ح - الشيخ (ناصر المنقور: أشواك السياسة وغُربة السِّفارة) صدر عن دار جداول، 2015. حول سيرة أحدُ ألمع بناة العملية التعليمية في المملكة المبكرة في عهد الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود، وتأسيس جامعة الملك سعود، فضلًا عن عمله الدبلوماسي لمدة ثلاثين عامًا. وقد استحق هذا الكتابُ – بجدارة - على جائزة وِزارة الثقافة والإعلام للكتاب سنة 2016.
3 - رجا بن مويشير ودوره في ضمِّ الجوف لحُكم الملك عبد العزيز). صدر عن دار جداول، 2015.
4 - (ذكريات عُمر أكلَته الحروف: النصُّ الأصلي والكامل. صدر عن دار جداول، 2022. أعاد فيه نشرَ أحد نصوص كتابات نجيب المانع.
5 - (نجيب المانع: حياته وآثاره) صدر عن دار جداول، 2022.
والمسرد يطول، وربما استوعب المقال كله لو أردت الاستيعاب.

بداية الصداقة

أحمد الله سبحانه على أن وفقني برصيد كبير من الأصدقاء الأعزة في الرياض، بدأ تخلق نواته بعلاَّمة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر، تلاه التربوي الشاعر الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الرويس (رحمهم الله جميعًا)، وما زال الرصيد يتنامى حتى ظهر الأستاذ محمد عبد الرزاق القشعمي، وتقتضي مشيئة الله تعالى أن يولد ولدان مصابان بمرض وراثي اضطرني للتردد على مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض، والإقامة فيها في بعض الأحيان، وكما تقول الحكمة: (الخير في باطن الشر)، فقد كان الأستاذ أبو يعرب مصحوبا – دائماً - بالأستاذ السيف حين يأتي لزيارتي. هذه بداية الصداقة.

اليد السحاب

مرة كنت أفتش في ملفاتي فوجدت خطابًا من المجلة العربية مكتوب في مرفقاته رقم عدد من المجلة منشور لي مقال فيه. لم أعثر على العدد، فاتصلت بالأستاذ السيف مستعلمًا عنه. بعد أيام وصلني طرد كبير فيه العدد المطلوب، وعدد كبير من الأعداد والكتب.
معروف أن دور النشر تعطي المؤلف عدة نسخ من 50 – 100، ولقاء كتابي عن الشاعر (خالد الفرج) أعطاني 200 نسخة، وقبل أيام بعث لي نسخ الأعداد المنشور فيها مقالاتي، ومعها عدد من أعداد المجلة، وآخر من الكتب. فأي كرم هذا الذي أسبغه عليَّ، وأي فضل؟

(1) ديوان أبي البحر الخطي، تحقيق: كاتب هذه السطور، نشر مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م، جـ1/225.

شهـــادات

محمد السيف.. «مجمع» بذاته.

لطفي فؤاد نعمان*

لا ريب في أهمية رحلة الاستاذ محمد بن عبدالله السيف، من محرر صحافي في إيلاف أول صحيفة الكترونية عربية، فرئيسًا للقسم الثقافي بجريدة الاقتصادية السعودية، إلى رئاسة تحرير إحدى أهم المجلات الثقافية العربية "المجلة العربية" بجانب تأسيس وإدارة شركة "جداول للنشر والترجمة والتوزيع" أهم دور النشر العربية ببيروت. التي تشكل سفارة ومنارة سعودية مهمة ترفد الفضاء الثقافي بالإصدارات النوعية عن مختلف الأفكار من مختلف الأقطار. وتراه هو شخصيًا، كيف بسُفنٍ وأسفار مجلدة عن تاريخ المملكة العربية السعودية، يمخر عباب التاريخ المعاصر بتدوين سير عطرة في: الإدارة والوزارة، التعليم، الدبلوماسية، النفط والفكر والإعلام.. مشهرًا "سيف الإنصاف" لمن ارتبطوا عمليًا ووجدانيًا بالسعودية؛ فَيعي التاريخ في صدره ويضيف أعمارًا إلى عمره، عمن كتب "سيرتهم" من الطفولة حتى الكهولة. بخبرة صحافية واستقصائية شغوفة، ينقب في الصخور، يسبح في الرمال، يقتلع الأشواك لكي يغدق على المكتبة العربية ويملأ رفوفها بحيوات وآثار من كتبَ عنهم ونوّه بهم موثقًا جهودهم الجبارة أثناء أدوار وأطوار دول، معارك عسكرية وسياسية، سجالات صحافية وأدبية، مطارحات عنيفة وردود ملتهبة بـ"ضربة مرفق". فضلًا عما يتمتع به من بصيرة منفتحة وجدية خلاقة تعلوها قدرة فائقة على إدارة الوقت لكي يستمر في الإنجاز والإنتاج والإضافة، فتتحدث عنه أعماله. محمد بن عبدالله السيف بذاته مجمع سير وتاريخ، وعلم جدير بكل تكريم. وجدير بنا ها هنا شكر المجلة الرائدة "اليمامة" على مبادرة تكريم من كرم بقلمه الأوائل. هنيئًا لكم تكريمه.

*كاتب ومستشار إعلامي يمني

الملـف

شهـــادات

كتبَ تاريخنا الوطني بنغمة هادئة.

علي العميم

كتب الأستاذ محمد السيف عدداً من السير الذاتية الغيرية، أو السير المفردة، ككتابه "عبد اللّه الطريقي: صخور النفط ورمال السياسة"، وكتابه "ناصر المنقور: أشواك السياسة وغربة السفارة"، وكتابه "نجيب المانع: حياته وآثاره"، وكتابه "أحمد الشيباني أو ذيبان الشمري: سيرته، فلسفته، معاركه"، وكتابه "حمزة غوث: سياسي دولتين وإمارة"، وكتابه "جميل البارودي: سيد الأمم المتحدة".

وكتب سيراً ذاتية غيرية متفرقة، جمعها في ثلاثة كتب، هي: "سيرتهم: صفحات من تاريخ الإدارة والاقتصاد"، و"سيرتهم في التعليم" و"بين السفارة والوزارة".

في كتبه الستة كان مؤرخاً وأديباً، ذلك لأنه كتب سير أشخاصها بلغة يغلب عليها الأسلوب الأدبي، ولأنه نهج – جزئيا – نهج الروائي الذي يكتب التاريخ بطريقة بانورامية.

وفي كتبه الثلاثة، وكذلك في كتابه "رجا بن مويشر ودوره في ضم الجوف لحكم الملك عبد العزيز" كان مؤرخاً، فهو اعتمد فيها من حيث اللغة على الأسلوب التقريري لكن ليس بالمعنى الناشف الجاف، فلغته في الكتب الثلاثة لغة حية وحيوية، وتصويره عن قرب لعدد من شخصياتها تضمن الجذب والتشويق، ولم يخل من اللمسة البلاغية.

ومع أنه ذو أسلوب أدبي في كتابة السيرة الذاتية الغيرية إلا أن صياغته الأدبية لم تأت على حساب الدقة العلمية في سرد تفاصيل الوقائع والحوادث التي كانت الشخصيات التي أرّخ لها طرفاً فيها. وهذا يرجع إلى أنه في المقام الأول، مؤرخ. وأساساً، كاتب السيرة الذاتية الغيرية غالباً ما يكون مؤرخاً محترفاً. وهذه السمة أو الصفة من بين الفروق ما بين كاتب السيرة الذاتية الغيرية وكاتب السيرة الذاتية الشخصية.

من الصعوبات التي واجهها الأستاذ محمد السيف في بداية اتجاهه لكتابة السير الذاتية الغيرية، صعوبة أيديولوجية رقابية، تتمثل في أن الشخصية الأولى التي كتب سيرتها تاريخها مشتبك مع تاريخ تيارات سياسية في السعودية، وكان من مقررات الخطاب الرسمي وخطاب الصحوة في تلك الفترة وقبل تلك الفترة بعقود، أنه عند حديث الكاتب عنها لابد له من التصريح بالإدانة اللفظية لتوجهاتها ولأيديولوجياتها، أو – على الأقل – إبدائه تحفظات إزاءها.

ومع أن موقف الحياد لم يكن من ضمن الخيارات المطروحة أمام الكاتب عند الحديث عن تلك التيارات إلا أن موقفه منها كان أقرب للحياد الإيجابي. الحياد الايجابي بمعناه العلمي لا بمعناه السياسي في الحرب الباردة.

في تقديري أن الأستاذ محمد وفق في كتابة "تاريخنا الوطني" في أكثر من موضوع وأكثر من مجال، بنغمة هادئة ليس فيها قرع طبول.

الصحافة الجادة بوصلة طريق.

هاشم الجحدلي

وكأنه من آخر فرسان جيل تبنى خيار الصحافة كنافذة لصناعة العالم وليس رؤيته فقط، انخرط الصحافي والباحث والناشر محمد السيف في عالم الكلمات التي تستهدف استجلاء المغيب وكشف المستور وتوضيح الملتبس وإضاءة المعتم. فبدأ مسيرته صحافيا وكأنه يقول سيرتي تبدأ من هنا ولكنه لم يتوقف عند هذا المجال الذي وصل إلى قمته حين أصبح رئيسًا للتحرير بل عزز هذه العلاقة إلى علاقة أبعد أفقًا حين دلف عالم التأليف من باب توثيق السير الثقيلة التي بدأت مع سيرة الوزير الأكثر إشكالية عبد الله الطريقي ولم تكن هذه الخطوة الكبيرة إلى محطة أولى في طريق طويل من الإصدارات الفارقة في هذا المجال، وبينما هو يعزز مكانته في هذا السياق الصحافي/ التوثيقي/ الاستقصائي أسس مع الراحل الكبير د. يوسف الصمعان دار جداول وما أدراك ما دار جداول في سوق النشر السعودي والعربي. هذه الخطوط العريضة لرحلة السيف في المشهد الثقافي تبرز بما لا يدع مجالًا للشك والالتباس بأنه لم يمتهن الصحافة الثقافية مهنة عيش بل أسلوب حياة، فلم يكن يشارك في أصداء الزلازل بل يصنع الصوت الأول للدوي الأكثر تأثيرًا. وحتى لا يبدو الحديث من باب التكريم المتأخر الذي يزدحم بمفرادت المدح التي صارت تكال لمن يستحقها ولا يستحقها سأعترف بأن هذه الكتابات تعجبني وتثير حماستي لأن فيها شيء قريب من ذائقتي الصحافية والكتابية ولو من بعيد فأسلوب الانتقاء والاستقصاء ونوعية الشخصيات التي يتم تناولها وآلية الكتابة وفضاءات البحث تروق لي. ولم يتوقف دور السيف صحافيا وباحثا وناشرا عند إضافته للمشهد الثقافي من إسهامات يعتد بها بل هو إضافة لسردية التاريخ السعودي الذي لم يكتب أو كتب بعثرات كبيرة وكثيرة، ويكفي أن تطالع عناوين إصداراته ومجمل إصدارات دار جداول لتعرف بأنه كان جزءا أصيلا ومؤثرا في كتابة التاريخ السعودي الجلي والذي لم تتح الفرصة له أن يكتب بهذه الجدية والصرامة البحثية من بعد. رحلة السيف رحلة من الرحلات التي يستطيع المرء أن يتباهي بها فهي نموذج حقيقي للمثابرة للتميز دون أن تلتفت للوراء لتقول أنا أنجزت، بل دائما كانت تتبنى خطاب "أنا خطوة رحبة في درب طويل" ومع كل كتاب يصدره أو ينشره يعزز هذا الرهان بموقف حقيقي في سوق النشر لا دكاكين الطباعة. وما دمنا في مقام الاحتفاء المستحق فآمل فعلًا أن يتم تكريس هذه النماذج في مشهدنا الثقافي فهي الرافعة التي تجعل المشهد أكثر حركية وديمومة وأنصع أثرًا، وإلا فستذهب كل جهودنا هدرًا، فالصحافة الثقافية الجادة والبحث الإشكالي والصارم والنشر المسؤول هم الأدوات الأساسية التي تجعل المشهد الثقافي والفكري يعيش زمانه ويترك تراثًا لمن يقتفي أثره. محمد السيف صديقًا وصحافيا وباحثا وناشرا لا أملك أن أقول في ختام هذه التداعيات إلا: شكرا من القلب لأنك كنت بيننا.

الملف

شهـــادات

المؤرخ والباحث الذي يبني مُدنا من قلب التاريخ.

إبراهيم عبد المجيد

أعرف محمد السيف كاتبا وصحفيا بارعا، من أبرز المثقفين في المملكة العربية السعودية. المجلة العربية التي يرأس تحريرها الآن، كانت ولا زالت من أجمل الأماكن التي نشرت بها مقالات رغم قلة نشري، وتظل من أجمل المجلات الثقافية العربية عابرة الحدود والزمن. محمد السيف أو محمد بن عبد الله السيف كاتب ومثقف رائع، له دوره العظيم في الثقافة السعودية والعربية، فإلى جوار منصبه كرئيس تحرير المجلة العربية ذات الصيت الكبير، عضو مجلس إدارة هيئة الأدب والنشر والترجمة بالمملكة العربية السعودية. هو باحث حقا، لكنه مؤرخ استثنائي يبحث موضوعاته من كل جانب، شخصي أو تاريخي أو اجتماعي وفلسفي. له كتب هامة في السيرة والتاريخ معها وحولها مثل " عبد الله الطريقي.. صخور النفط ورمال السياسة" و" ناصر المنقور.. أشواك السياسة وغُربة السفارة" و" أحمد الشيباني أو ذيبان الشمري- سيرته.. فلسفته.. معاركه" و" نجيب المانع.. حياته وآثاره" وغيرها. فضلا عن كتب حررها وأعدها وقدم لها مثل" غازي القصيبي.. في عين العاصفة" و"مختارات من مجلة قريش" وغيرها.

منذ عام تقريبا كان أجمل ما حدث في حياتي لقائي به في القاهرة مع العزيز الصحفي والكاتب النبيل علي مكي، الذي لا تنقطع لقاءاتنا كلما جاء إلى القاهرة، ومعه أقابل أجمل الأحباء من المملكة العربية السعودية. كان طلب محد السيف مني أن ينشر لي رواية جديدة في دار جداول اللبنانية السعودية، سببا في تذكر ما يفوتني بحكم العمر والصحة. لم يحدثني عن نفسه ولا كتبه فأنا أعرف وإن فاتني بعضها. جعلني ذلك أذهب إلى دار جداول في معرض القاهرة الماضي للكتاب، لأجد كنزا من الكتب التي كتبها محمد السيف. في الأشهر الماضية قرأت كتابين منها وكتبت عنهما. الأول "حمزة عوف سياسي دولتين وإمارة" والثاني هو" عبد الله الطريقي. صخور النفط ورمال السياسة".

السؤال الذي قفز الي روحي وأنا اقرأ ولا يزال، كيف يوجد لدينا مفكر ومؤرخ مثل محمد السيف، وتفوتني قراءة بعض كتبه العظيمة. هذا سؤال أحاول الإجابة عليه بالقراءة. السؤال الثاني أرجئه إلى آخر هذه الشهادة مني. في الكتاب الأول الذي شرفت بالكتابة عنه مقالا كبيرا عن حمزة عوف المستشار السياسي للمملكة وقيام المملكة العربية واستقرارها، كنت أقرأ وأري. فلغة محمد السيف العلمية في البحث محملة برائحة المكان والزمان وأحلام البشر. وبعيدا عن تفاصيل الكتاب أو كل ما كتبته كعرض له وهو موجود على الإنترنت لمن يشأ، هالتني هذه المعرفة العظمي للتاريخ وكل تفاصيله. كتاب يزيد عن سبعمائة صفحة من القطع الكبير لم أتركه من يدي. أعاد لي تاريخ صعود المملكة العربية السعودية منذ القرن التاسع عشر، وما جرى بعد انهيار الدولة العثمانية وأثر ذلك على قيام المملكة. لقد قرأت كثيرا فيما جرى منذ القرن التاسع عشر ثم القرن العشرين عن هذه الأحداث. كان من أبرز ما قرأته مذكرات لورانس العرب، أو توماس إدوارد لورانس الضابط البريطاني الذي لقب بذلك، لكن كتاب محمد السيف أبهرني بمساحته الأوسع في الحديث بالتوثيق أو بالأحداث. وجدت نفسي بين سيرة لشخصية سياسية وبين سيرة الأرض والمدن والأدب والأدباء والصحافة والصحف وكل شيء يخطر في بالك يتحرك أمامك، فبدا لي أن محمد السيف لا يؤرخ فقط لمراحل تاريخية، لكن يبني عمارة من أدوات من المعرفة. صرت اندهش كيف استطاع الحصول عليها، رغم أنه بأمانة الباحث المحترم لا ينسى مصادره في الحديث عن الكتاب، ولا شكر من أتاح له الاطلاع عليها.

الكتاب بإيجاز سيرة لشخصية هامة حقا في تاريخ المملكة، لكنه أيضا رحلة مع تاريخ المملكة عبر قرنين من الزمان، اعتمد فيها الكاتب على وثائق وخطابات شغلت مائة صفحة من الكتاب، وحافل بالصور للأماكن وكل من جاء ذكرهم في الكتاب، يعكس جهدا علميا جبارا في البحث يستحق عليه الكاتب محمد بن عبد الله السيف كل تقدير، فلقد قام بما يمكن أن يقوم به فريق كامل من الباحثين. كان الكتاب الثاني هو " عبد الله الطريقي.. صخور النفط ورمال السياسة" منشور في دار جداول أيضا، في طبعته السابعة مما يعني رواج كتب محمد السيف رواجا عظيما. طبعة سابعة لكتاب تاريخي وفكري في هذه السنوات القصيرة منذ نشر الكتاب أول مرة، شهادة رائعة قل نظيرها من القراء في عالمنا العربي على كتب فكرية وتاريخية. تؤكد بعيدا عن أي مناصب يتولاها محمد السيف، الأثر الثقافي العظيم لكتاباته. الكتاب عن أحد أعلام المملكة أيضا ومؤثريها الكبار في عالم النفط، منذ نشأة المملكة في القرن العشرين علي يد عبد العزيز آل سعود. ومع سيرته أحوال المملكة والعالم العربي. صخور النفط هي المصاعب التي حاول الطريقي القضاء عليها، ورمال السياسة هي ما غرقت قدماه فيها.

وبإيجاز فالكتاب متاح، نرى في سيرة الطريقي كيف كان حاسما في أرائه ودفع الثمن لذلك، حتى أنه بعد أن غادر المملكة بلا رجعة، تم منع أي كتابة عنه، وهذا الكتاب نفسه بعد نشره في بيروت في أول طبعة، تم منعه في المملكة لثلاث سنوات، حتى تغيرت الأحوال في المملكة وسمح بدخول الكتاب، ومن ثم يظل للمؤلف محمد السيف الفضل الكبير في فتح صفحات، كان يمكن أن تظل غائبة عن صاحب السيرة. ويأخذني هذا الي الحديث عن نفسي وتجربتي في نشر روايتي بتشجيع من محمد السيف. رواية " سامح الفؤاد" التي نشرت منذ حوالي شهرين ولم أجد منه ولا من الدار غير كل ترحاب حقا وحسن معاملة، لكن قفز السؤال كيف صرت أنشر في الخارج أكثر من مصر؟ والإجابة لأن مساحة الحرية المتاحة في الكتابة قبولها أكثر في الخارج، ففي مصر الآن يخشى كثير من الناشرين شيئا قد يشي برأي في السياسة أو الجنس أو الدين. لا ألوم الناشرين في مصر فأنا اعرف ما حولي، لكن سعادتي كبيرة أن صارت السعودية تفتح باب الحرية كاملا للفكر والإبداع.

أعود إلي محمد السيف وإلى السؤال الثاني الذي ارجأته إلى آخر هذه الشهادة، وهو كيف يوجد لدينا مفكر ومؤرخ عظيم مثل محمد السيف الذي أراه، ويراه كل من يقرأ له، مدينة كاملة من العمران، ولا نقرأ أنه حاز أعظم الجوائز العربية. أعرف أنه نبيل الروح إلى أقصى مدى، ولا يسعى إلى ذلك، لكن أتمنى أن تفعل ذلك المؤسسات الثقافية في عالمنا العربي، فهو إضافة لكل جائزة. كم أنه إضافة عظيمة إلى أهم المؤرخين والباحثين العرب في كل العصور.

السيف.. موازنة النصل بين الإنصاف والعشق.

يحيى امقاسم*

سأقول أنّه منصف بالقدر الذي تُوجبه المعرفة البحثية ودقة المعلومة من صرامة الطرح وموضوعية التناول، بينما يدفعُ باحِثُنا عشقُ السيرة وتقديرُ الشخص (الراحل)، ذلك عدل محمد السيف وهو ينشر مجاميع كتب اعتلت رفّ السيرة وأدبها بالمكتبة العربية، واتخذتْ لها المكانةَ البارزة في الطَرَقِ والمعالجة الحصيفة.

وهناكَ التزام مع الجغرافيا فرضته المرحلة التي حددها لأعماله. وهو ما نلمسه في اختيارات فطنة روافعها امتياز الشخصية ونصاعة سجلها وجِـدّة مواقفها، فلم يُبرز العادي عند القارئ، ولم يُؤثر الخاص والأقرب؛ بل اعتاد أن يُشكّل النادرَ مجدداً، فلا يُكرر الضوء على ما سبق كشفه، وإنّما يقود البصيرة إلى طلع وليد من الحكاية المكتوبة، وما بلغه أحدٌ من قبل.

والاستشهاد على ذلك كثير بداية بكتابه "عبد الله الطريقي.. صخور النفط ورمال السياسة" 2007، فكتاب "سيرتهم.. صفَحات من تاريخ الإدارة والاقتصاد في السعودية" 2011، ومنهم وكيل (الملك المؤسس) في شقراء عبدالرحمن السُبَيعي، ورائد الأعمال عبداللطيف العيسى، ومستشار ملوك آل سعود منير العَجْلاني، ورجل التنوير عبدالعزيز التويجري، وسيد الإدارة الحديثة محمد الطويل؛ ويُلاحظ من تلك السير استمرار الباحث السيف على فرادة الشخصية وثقل التأثير الماثل في المسيرة، سواء في الإدارة أو الاقتصاد أو الدبلوماسية.

وعندما نجد التمسّك بمرحلة محددة دون غيرها يتمظهر الشغف بشخصيات تُعدُّ علامات فارقة في تاريخ المملكة العربية السعودية (الثالثة)، ومنهم مؤسس جامعة الملك سعود والعَلَم الكبير في تاريخ التعليم والعمل الدبلوماسي السعودي وهو "ناصر المنقور"، ورجالات فترة التوحيد ومنهم "رجا بن مويشير" الذي يعود له دور كبير في ضمّ منطقة الجوف للدولة الحديثة قبل ما يُقارب مائة عام من الآن.

يُضاف لذلك استعادة النصوص الأصلية لبعض الأعلام وتحديثها، مثل كتاب نجيب المانع "ذكريات عُمر أكلَته الحروف: النصُ الأصلي والكامل"؛ لينشر بعنوان "نجيب المانع.. حياته وآثاره" 2022، ومستشار الملك المؤسس "حمزة غوث.. سياسيُ دولتَين وإمارة" 2023، و"أحمد الشيباني أو ذيبان الشمّري.. سيرته، فلسفته، معاركه" 2024، وهو ما يأتي عميقاً في التعريف بمثقف نوعي ما كسب الصورة كاملة؛ لأنّه لم يتخذ من ثقافته واطّلاعه وخوضه للحياة منافع محدودة تنحصر على تسيّد المشهد أو قيادة التيار المنحاز؛ فالشخصية ـ الشيباني أو الشمري ـ كانت المستقلّة بالوعي وشرف الموقف، وهو ما يعرضه السيف بتقدير منضبط وبمادة متكاملة.

وهو يبني حكاية الفرد، لا يصوغ السيف ملامح البناء المبكر في الدولة وحسب، بل وأيضاً يُساهم ببلاغة خاصّة في التاريخ الموازي عبر "الفرد" الذي جعل منه بوصلة نحو مرآة المجتمع وذاكرة مضيئة على درب الوفاء.

وبالالتزام المرن، القادر على تقديم المادة الأصيلة بشروطها الصارمة ومواءمتها مع ظرف الدهشة وتحريضها على الكتابة، استطاع السيف أن يُفكك الحُجب عن تلك السير بأدوات نابهة ومصادر تكاد تكون عصية على عديد الباحثين، ذلك أنّ بعض الشخصيات ينقطع عنها تواتر الحديث وفي أحيان ينحصر ذكرها بين الأهل فقط دون تدوين محفوظ، وهو ما يجعل المادة الحديثة معدومة، كما الحال بالنسبة للسفير الفذ ـ المندوب الدائم للمملكة في هيئة الأمم المتحدة ـ "جميل البارودي" ـ لبناني مسيحي ـ، وهو أول سفير سعودي في أمريكا وهيئة الأمم. ورغم ريادة الصحافة في لبنان والإصدارات ذات الاهتمام بأبناء لبنان في المهجر إلاّ أنّ هذه الشخصية لم يُلتفت إليها بمؤلَّف خاص؛ عدا لقاء في صحيفة النهار أو خبر في نشرة عالمية.

لقد أجاد السيف تنقيبه وأخرج كتابه المبهر "جميل البارودي سيد الأمم" 2025؛ متتبعاً حكايات متداولة وأخبار موزعة على أكثر من بلاد عن هذا الرجل (الجدل) والسفير المتعدد منذ الخمسينيات الميلادية. قدّم لنا شخصية يجهل الكثير دورها وفاعليتها في لحظة تاريخية من عمر القانون الدوليّ ونشوء الالتزامات في المنظومة الدوليّة التي برع فيها السفير بارودي وشغل منصبه بامتياز ليُعزز مكانة المملكة وصوتها تحت قبة الأمم منذ عقود بعيدة.

ما يقارب خمسة وعشرين عاماً في كتابة السير يسترد السيف ملامح كبرى من تاريخ البلاد، ويرسم خرائط الأثر العابر على امتداد نهوض الدولة. وبهذا المسعى في التوثيق ساهم بافتنان في ذخيرة أرشيف الدولة، وبنبض إنساني حميم يحاور مختلف التجارب لأولئك الفاعلين الملهمين.

وحتّى لا تفنى الذاكرة أو تبقى حبيسة "الدائرة الضيقة" سرد الباحث على طريقته ما ينقل شفوياً عن الشخصية ليرفع ذلك المنقول إلى منزلة المرجع الثابت؛ فيُعطي لذلك التاريخ الشخصي الصوت النابض والحيّ بتعدد وسائط التلقي والاطّلاع.

إنّ هذه القراءات العالية من السيف تأتي صوناً للذاكرة الوطنية، وأداءً أمانةِ الواثقِ بكتابه؛ فقد جَمعتْ إصداراته حمولات المعرفة من جانب، ومن جانب آخر أحياها الوجد الإنساني المأخوذ بالمنجز الرفيع وبالأثر الممتد. وما كان لهذا الجهد المثابر أن يعلو ويستمر لو لا التحليل النابه والنقد الواعي، وهو ما يتطلب العرفان التامّ لهذا الدور العزيز على كلّ مَنْ لـمِسَ تأسيساً مختلفاً وعروةً أمينة بين الأجيال فيما يُصدره محمد السيف وعبر رُؤى فاحصة زادها صدق البذل والعطاء.

* (تونس ـ سبتمبر 2025)

الملـف

شهـــادات

السطر الأول في سيرة سادن السير .

د. سعيد الدحيه الزهراني

يقف الأستاذ محمد بن عبدالله السيف على رأس ثلاث مؤسسات ثقافية تُعد اليوم ضمن مؤسسات الصدارة محلياً وعربياً، الأولى رئيس تحرير المجلة العربية، والثانية ناشر دار جداول، أما الثالثة فتتمثل في ذاتة التي أوقفها لحقل السير والترجمات الرصينة، منتجاً عبر أسلوب استقصائي فريدة معماراً ولغة وموضيعية طرح متزن لا تجرفه أمواج أمزجة المراحل، فرائد غاية في الأهمية مثل سير؛ الطريقي والمنقور وحمزة غوث وغيرهم كثير.

المحطات التي مرّ بها الأستاذ السيف مرور المقيمين أثراً وذكراً معروفة ؛ بدءً بصحيفة إيلاف ثم رئاسة القسم الثقافي بصحيفة الاقتصادية إلى جانب عمله مستشاراً ثقافياً بالمجموعة السعودية للأبحاث والنشر ثم رئيساً لتحرير المجلة العربية ومشرفاً عاماً على مركز الملك فهد الثقافي، وعضواً فاعلاً في العديد من مجالس إدارات الشأن الثقافي والإعلامي ولجانه، وهو ما يستدعي مراحل تكونه الأولى التي كان خلالها مهووساً بالثقافة، ولطالما تحدث إلى أصدقائه عن كتب الأدب والشعر والتاريخ والمجلات والصحف التي كان يطالعها عبر مكتبة المدرسة ومكتبة والده، حيث حفظ الكثير من شعر المتني ونزال قباني وغازي القصيبي، ثم تعمق متخصصاً في حقل التاريخ عموماً والتاريخ التنموي والإداري والثقافي السعودي، بل انكب على جمع القصاصات والصفحات والوثائق حتى كون إرشيفاً خاصاً للعديد من الموضوعات والشخصيات المعاصرة والتاريخية، وهنا ولدت الفكرة المفصلية في مسيرة محمد السيف، حين قرر أن يؤسس بالشراكة مع الدكتور يوسف الصمعان حمه الله (دار جداول للنشر والترجمة) عام 2010م في بيروت، ومن ذلك الحين تعالت جداول حتى باتت اليوم واحدة أبرز دور النشر العربية وأكثرها رصانة ومسؤولية وتجدداً.

المنعطف المفصلي الآخر جاء عام 2015م حين أصدر معالي وزير الثقافة والإعلام آن ذاك الدكتور عادل الطريفي قرار تعيين الأستاذ محمد السيف رئيساً لتحرير المجلة العربية ومشرفاً على دار المجلة العربية للنشر والترجمة، حيث استمر توهج المجلة ودار نشرها مطوراً المحتوى عبر التركيز على ملفات الثقافة عامة والانفتاح على مختلف التخصصات بوصفها ثقافة لا أدب فحسب، ومولياً اهتماماً خاصاً بصفحة أعلام التي تطور عدد من شخصياتها إلى كتب ومؤلفات، فضلاً عن تطوير الحضور الرقمي للمجلة عبر موقعها الإلكتروني وحسابتها في شبكات التواصل الاجتماعي.

المرحلة الفارقة والتي ربما تغيب عن الكثيرين، هي مرحلة تعيينه مشرفاً عاماً على مركز الملك فهد الثقافي عام 2015م، وهي لدى من يريد التأريخ للفعاليات الفنية الغنائية في الرياض، تعد المرة الأولى التي شهدت فيها الرياض حفلات غنائية جماهيرية في مؤسسة رسمية بعد عقود من الانقطاع، فضلاً عن النشاط الثقافي البارز الذي أحدثه السيف في مركز الملك فهد الثقافي عبر ما عُرف بـ (الليالي الثقافية) مثل ؛ ليالي الشعر النبطي، وليالي السينما، وليالي الرواية، وليالي الموسيقى وغيرها.

أعود سريعاً للحديث عن الجوانب الشخصية التي عرفتها عن قرب عبر زمالة الصحافة ثم صداقتها، وليت لي مساحة أطول مما حدد الأصدقاء الكرماء في مجلة اليمامة العزيزة بقيادة رئيس التحرير الصديق العزيز الأستاذ عبدالله الصيخان، والصديق العزيز علي مكي، مقدراً لهما وشاكراً غاية الشكر مبادرتهما إلى إصدار هذا الملف التكريمي المستحق، أقول في سياق الجوانب الشخصية فضلاً

عن إصداراته التي تبلغ 12 مؤلفاً، يحضر الأستاذ الرفيع محمد السيف بوصفه داعماً وممكناً للطاقات، زاهداً بكل صدق في الأضواء، جاداً في عمله ومنضبطاً بإنسانية عالية.

في المجلة يباشر العمل بوصفه زميل يتشاور مع فريقه ويقرر ما يرجح في حوار الزملاء، متنازلاً بكبرياء رفيع عن سطوة الرئيس وصلاحية المسؤول، وهو بهذه الحال قائد خلاّق وإيجابي، وهو ما شهدته خلال عملي معه بمعرض الكتاب الذي شرفني بأن كنت ضمن فريق قيادته خلال عامي 2016 و2017م.

وقبل أن أختم بموقف إنساني ثقافي عالي للأستاذ محمد السيف أشير إلى ثقافته الواسعة التي تمنح جليسه وقتاً من المتعة والفائدة لا حد لهما، يتحدث فيستحضر الوقائع والمواقف ليرويها بدقة فائقة وجمالية عرض لا مثيل لها، ثم يقدم رأيه الخاص مدعوماً بمطقية عرض غاية في الإقناع، ناهيك عن معرفة دقيقة يتمتع بها الأستاذ السيف بمراحل وشخصيات ورموز المشهد المحلي والعربي ثقافياً وفكرياً، وهو الأمر المرتبط بذاكرة حفظ وضبط عالية تجعله مرجعاً للكثير من المشتغلين بالمجالات التأريخية، ثم لن أضيف جديداً حينما أشهد له بخصلتين نبيلتين عرفها فيه كل من التقاه؛ الأولى نكران الذات رغم تنكر البعض ممن مروا بفضله وبمواقفه، والثانية إنسانيته العالية وفي الآتي ما يبرهن عليها.

أختم بهذا الموقف الإنساني الذي يتمثل في شاب لا يملك مستحقات نشر رواية عبر أي دار نشر، استعان بي فبحثنا وطرقنا الأبواب ولم نجد سبيلاً، ثم رويت قصة هذا الشاب لأبي عبدالله فطلب أن أرسلها له، وماهي إلا أشهر وإذا بالرواية صادرة عن دار جداول ومحولاً النسخ المجانية للمؤلف، دون مقابل، هذا الشاب الروائي كتب شكراً خاصاً وصادقاً للغاية وسأجتزئ منه ما يناسب حال احتفائنا بالصديق والأخ العزيز الأستاذ محمد بن عبدالله السيف:

الجميل الذي فاضت جداوله بالنبل الأخ محمد السيف

الحديث لشخص مثلك هو فظل، ولستُ ممن يرد فظل الله عليه، لذلك دعني أبدؤك بهذا.

لم أعرفك عن قرب ولكني عرفتك بصديقك، وإن كنت حتى الآن لم ألتقي بك وجها لوجه، ولكني التقيتك في صنيعك، وقد وصل عطاؤك.

ولأن الأحرار تعرفهم بصنائعهم، فقد رأيتك في هذا المعروف الذي لا يُنسى، وصافحت يدك التي ملأتها عطاءاً دون أن ألمسها.

والعرفان جزء بسيط من رد المعروف، وهذا الكلام لا ينتمي إلى الشكر فقط، بل للجزء الأول من أحداث قصة رجلين كان أحدهما يتحدث بحرقة عن كاتب مغمور في زاوية بسيطة في قرية، فتكفل الآخر بحمل عبء صديقه الذي كان جل اهتمامه أن يظهر ذلك الكاتب.

قد أكون زورقاً صغيراً في جداول مطبوعاتكم بين سفن كتاب عمالقة، ولكنك لمحتني في ثنايا حديث صديقك، لم تهتم لحجم الزورق، ولكنك نظرت لسماكة خيط السنارة فتخيلتني اصطاد حوتاً عملاقاً.

وإلى أن نصل إلى الجزء الأخير من أحداث هذه القصة وإلى ما بعدها، ستظل دائما بين أكف الدعاء، وشريطاً مكرراً في الذاكرة، كشخص لم يتردد في أن يخرج روايتي من صمتها.

فلك مني دائماً ذلك الشكر الذي لا يليق إلا بك.

مخ..مل

مستقبل بلا أدب !

أسماء العبيد

هل استطعنا وضع مستقبل الأدب في أيد أمينة ؟

في ظل هيمنة المقاطع السريعة اللاهثة والصور التي استغنت عن اللغة وصار "البكسل" هو قرن الاستشعار الذي نستدل به على رسائل المواقف بدلا من دهشة الأبجدية !

هل بإمكاننا أن نصنع للأدب إكسيرا يحفظ له شبابه وتوهجه ؟ أم أن طوفان التواصل العنكبوتي سيقصيه لينطفئ ويضيع بين ركام مخلفات تفاصيل عتيقة لم يعد لها مكان في حياتنا ؟

بعبارة أكثر اختصارا : هل هيأنا الساحة لأدباء المستقبل ؟ وهل لازال للأدب جمهور في صفوف الناشئة ؟

هل قدمنا للطفولة أدبا حقيقيا يجعل القراءة تحتفظ ببريقها الأخاذ رغم ضجيج أضواء المغريات حولنا ؟

هل لازال في صفوف المراهقين من يستطعم مجازات الأدب ويتذوقها ويميز جيدها من رديئها ؟

ما أراه بحكم ارتباط عملي بالأطفال أن القراءة بكل مافيها من أبعاد واسعة.. قد اختزلت لتصبح أداء وظيفيا لنيل الدرجات فقط ...وهذا مايثير قلقي تجاه مصير الأدب , ربما نحتاج ثورة الكترونية تعليمية تجعل من القراءة جزءا من الرفاهية والفهم وإيصال الرسالة كما هو الحال مع المقاطع المصورة.

أما إن استمر الحال هكذا فأخشى أن تكون علاقة الأجيال مع الأبجدية كالعلاقة مع الأواني البلاستيكية ...تستخدم لغرض مؤقت ثم ترمى !

نريد طفولة تصوغ اللغة من جديد ..وتحتفي بعظمة الأدب ...أو حتى تعرف معنى الأدب وتبحث عنه , أترونها أمنية مستحيلة ؟

محمد السيف..

السيرة أبعد من حكايات فردية.

محمود صباغ

ليست الإصدارات السيرية لمحمد السيف مجرد حكايات فردية، بل مشروع متماسك ينظر إلى السيرة كخرائط مصغّرة للعقل السياسي والاداري، وعدسة لفهم تحولات مجتمعاتنا وأطوار حياتنا العامة.

لم يكن محمد السيف أول من كتب السير الغيرية في بلادنا؛ فقد سبقه جيل الرواد الذين اعتمدوا أسلوب التراجم التقليدية أو الرواية الشفهية، وربما سبقه الى الفن من جيله عدة مؤلفون، لكن أغلبهم وقف على طريقة اعداد الذكريات الخام او ثيمة "فلان يتذكر..". غير ان السيف تفرّد عنهم، إضافة الى حجم النتاج والمحصلة، في اقتباسه لمدرسة السيّر التي تتجاوز الحكاية الفردية إلى تشريح البنية العامة للمجالات التي مثّلها أصحابها.

ومنذ اصداره التدشيني عن معالي الشيخ عبدالله الطريقي، خبير الزيت ووزير النفط، الذي صدر أقرب إلى سيرة-تحليلية تعيد تركيب مشهد سياسي–اقتصادي معقّد، وليست مجرد "حياة رجل" او بطولة لأيقونة اجتماعية.. تجاوز السيف في عيون السير، التي وضعها، الأفراد، ليكشف عن ملامح مراحل كاملة.

فالموضوع يتجاوز الفرد ليصبح عن كيف تعمل آليات السلطة وكيف يتشكل القرار الوطني، وكيف تتبلور أولويات الدولة وتوازناتها.

هكذا تكون سيرة الطريقي، في جوهرها، عن تواريخ كفاح تشكّل الوعي النفطي الوطني، وعن تبلور السيادة الاقتصادية في مواجهة الاحتكارات العالمية. وسيرة ناصر المنقور في رئاسة جامعة الرياض في بواكيرها، عن كفاح الدولة لتأسيس نخبة وطنية وقاعدة معرفية حديثة. وسيرة حمزة غوث، عن صعود فكرة الدولة السعودية وانتصار سرديتها على الامارات والمشيخات المنافسة قاصرة النظر. وسيرة محمد الطويل، عن صعود جذوة الإدارة الحديثة، وعن صراع الصحوة، وكفاح المجتمع والدولة ضدا على مصادرة المجال العام.

إعادة الاعتبار وترتيب الذاكرة

السيرة الفردية تتحول عند السيف إلى أداة لبناء ذاكرة جماعية، وتأصيل تاريخ مواز من الضروري أن يبقى بارزاً.

نرى ذلك بشكل أوضح في سير الأسماء التي لا تحظى بتفاعل كاف في السرديات المعاصرة، مثل نجيب المانع، الأديب والمترجم الذي تعرضت سيرته للتشويه؛ أو أحمد الشيباني، صحافي السجالات الفكرية في زمن الحرب الباردة؛ أو جميل البارودي، مندوب السعودية في الأمم المتحدة الذي كشفت تجربته تناقضات الخطاب الدبلوماسي الأممي.. كلها أعيد الاعتبار لتجاربها بعد ان كادت أن تُمحى من وعينا المعاصر. فهو كمن يلتقط الشوارد ويعيد حقنها من جديد في التيار العام، مانحًا الذاكرة الجماعية توازنًا وعدلًا في التوزيع.

وهو اذ يردم الهوة بين التاريخ الرسمي والذاكرة الجمعية، ترقى اصداراته كنصوص مرجعية لدارسي التاريخ والسياسة السعودية. فسيرة الطريقي مرجع لدارسي تاريخ النفط والطاقة، والاقتصاد السياسي، وتكلفة صنع القرار في الدبلوماسية الدولية. وسيرة المنقور مرجع لدارسي السياسة والعلاقات الدولية، وتاريخ التنمية وبناء مؤسسات الدولة الحديثة. وسيرة الطويل المقتضبة، مرجع لدارسي تكلفة مجابهة الممانعين، ولتاريخ الإدارة العامة والتعليم.

الدقة لا التبجيل

لا يكتب السيف بلغة التبجيل المطلق، بل يمنح الشخصيات صوتها وتعليقها دون اتخاذ مواقف قطعية. يظهر التحديات والتناقضات، بين المبادئ والإكراهات الواقعية، فيكشف العمق الإنساني والسياسي للشخصيات. ولا يحجب الأوهام والعثرات - من ذلك تأكيده على الأوهام الناصرية للطريقي، او الهفوات المهنية للبارودي، وبقية كبوات الشخصيات. هذه المقاربة تمنح السرد قوته ومصداقيته.

الوثائقية والانغماس في الأرشيف

يبني السيف أعماله على أرشيف متين: وثائق رسمية، شهادات، مقالات قديمة نادرة، ونصوص من أصحاب السير أو مجايليهم. هو يقضي سنوات طويلة ومضنية في الأرشيف، ويجري مئات المقابلات، وينبش في ألبومات عائلات الشخصيات وعائلات أقرانهم، ويطارد خلف قصاصة لحوار صحافي قديم وغير متداول ولو في صحف أجنبية - كل ذلك ليتأكد من أن ما يقدمه ليس مجرد رواية تقريرية او مستهلكة أو أحادية، بل شهادة دقيقة على حقبة، تقربنا من فهم تفسير الأحداث. كأنه يصرّ على أن الكتابة عن الذاكرة العامة ليست ترفًا ثقافيا، بل مسؤولية أخلاقية ومعرفية.

مشروع وطني أصيل

إصدارات محمد السيف اليوم ليست مجرد كتب، بل بنية تحتية لذاكرة وطنية، وسجّلات تاريخية ذاخرة بالعبر والدروس. إنها تمنح للتجربة السعودية العامة عمقها التاريخي وتراكمها الحضاري، وتضفي على المسار الوطني بعدًا من الوعي يمد التجربة من داخلها بالثقة وشروط التجدد، ويقلّص الفوارق بين الأجيال، ويوفر الهامش الضروري للنقد والمراجعة.

اصداراته تتجاوز حدود الأفراد لتصبح أدوات لبناء ذاكرة جماعية راسخة، تردم الفجوات، وتثري الحاضر، وتضيء المستقبل.

الملـف

شهـــــادات

الصديق العزيز الذي فتح أمامي أبواب الكتابة والنشر.

مازن الغيث

كم غمرتني السعادة حينما علمت أن المجلة العريقة مجلة اليمامة تعتزم الاحتفاء بالمؤرخ القدير الأخ والصديق العزيز الأستاذ محمد السيف الذي أثرى المكتبة العربية بمؤلفاته التاريخية النوعية في توثيق سير الأعلام البارزين من راود الفكر والسياسة والاقتصاد والثقافة والتعليم في التاريخ الحديث والمعاصر.

ومبعث سعادتي بهذا الاحتفاء المستحق ليس لمجرد الصداقة الوثيقة التي تربطني بالأستاذ محمد السيف، بل هو نابع من إعجاب كبير بإنتاجه الثقافي والمعرفي وخدمة التاريخ الوطني بخاصة والتاريخ العربي بعامة بمؤلفاته التاريخية النوعية في توثيق سير الرواد الأوائل الذين كانت لهم بصمات واضحة في التاريخ المحلي والعربي والدولي، والتي من خلالها عرّفت القارئ والمثقف العربي بحصيلة معرفية تاريخية ثرية ليس عن سير هؤلاء الرواد فحسب، بل عن مراحل تاريخية مفصلية في مسيرة تاريخ المملكة والوطن العربي كانت الذاكرة العربية قد قابت قوسين أو أدنى من فقدانها بعد أن تقادم عليها الزمان وزحفت إليها رمال النسيان، لولا أن أجرى عليها محمد السيف جداوله، فأعاد إلى شخوصها رونق الشباب ونضارة الحياة، وجمعنا بهم في صفحات كتبه، وتعرفنا إليهم من قرب، ورأيناهم رأي العين، أو هكذا أحسسنا ونحن نقرأ سيرهم، لما يتمتع به قلم السيف من رشاقة الأسلوب وصدق العبارة.

وتتسم كتابته التاريخية وتوثيقه للسير بالرصانة العلمية، والتدقيق التاريخي، والموضوعية، والبعد عن التحيز، ولذا أصبحت مؤلفاته مراجع أساسية للباحثين الأكاديميين وللقراء والمثقفين على حد سواء.

والحقيقة أن هذه المنهجية الرصينة الواضحة في مؤلفات المؤرخ محمد السيف تشبه شخصيته تماماً، فهو شخص يتحلى بالرزانة والحكمة والصدق والوضوح والبعد عن المجاملات، وأنا أريد هنا أن أتحدث عن محمد السيف الصديق العزيز.

تربطني بمحمد السيف صداقة وثيقة بعد أن حظيت بلقائه في منزل خالي وصديقي العزيز الكاتب والمثقف علي العميم قبل أكثر من عشر سنوات.

كانت أحاديثهما كالمطر المنهمر من المعلومات التاريخية والثقافية والأدبية. كنت مستمتعاً جداً. ثم توالت اللقاءات بين حين وآخر.

في يوم من الأيام قالا لي أن خلفيتك المعرفية الجيدة في التاريخ الإسلامي يجب أن تظهر، ولا تظل حبيسة أحاديث في المجالس أو مقتصرة على شكل تغريدات في تويتر. وألحّا عليّ في ذلك.

حقيقة كنت فرحاً بهذا الطلب، لأني شعرت بالإطراء من مثقفين كبيرين، وأعرف أنهما لا يجاملان في أي شيء يخص الثقافة ابدا، فلو لم يلمسا الإضافة التي يمكن أن اقدمها في هذا المجال لم يطلبا مني أن أكتب أبداً.

كتبت أول مقال لي عن المخرج السوري الراحل حاتم علي والنقلة الكبيرة التي أحدثها في المسلسلات التاريخية ونشر في المجلة العربية، ثم توالت بعد ذلك عدة مقالات لي في المجلة العربية كانت في معظمها في التاريخ الإسلامي.

يعدها بفترة عملت على تحقيق تاريخي في قضية المؤرخ التونسي عثمان الكعاك وادعاءات مزعومة عن كشفه لدليل مادي يثبت سرقة رينيه ديكارت من أبي حامد الغزالي، ونتيجة لذلك تعرض الكعاك للاغتيال بعد كشفه عن الدليل المزعوم.

بعد إتمامي للعمل قررت أن أنشره على شكل حلقات في إحدى الصحف. وقد عرضت العمل على محمد السيف ليبدي لي رأيه. قرأ العمل كاملاً وقال لي أن طبيعته لا تصلح للتجزئة، ويجب أن تنشره في كتاب. وقد كان محقاً في ذلك، ورحب بنشره في دار جداول، وفعلاً نشرته في الدار وحمدت رأيه كثيراً.

محمد السيف له فضل كبير علي في اتجاهي للكتابة والنشر، وكان دائماً يقول لي إن هذا هو الأثر الباقي والإرث الحقيقي، وهو الذي سيخلد اسمك، فاحرص على البحث والتأليف ولا تتوقف.

الحديث عن مزايا الصديق العزيز محمد السيف لا تكفيها هذه المساحة، ومهما قلت عنه لن أوفيه حقه. فعذراً أيها الكبير.

المثقف الذي خرج من عباءة التنظير .

عقل العقل*

علاقتي الشخصية مع الكاتب والصحفي محمد السيف لها عدة أوجه جميلة وايجابية، فقد التقيت الاخ محمد السيف في فطوراً رمضانيا منذ سنوات عديدة في بيت صديق عزيزا، تفرقت بين الطرق والسنين ولكن ظللت اتابع كتابات ابو عبدالله الصحفية في جريدة الاقتصادية في مرحلة ملتهبة من المعارك الفكرية والسياسية في بلادنا والعالم العربية ، كنت اجد مقالات ومشاركات السيف في تلك الفترة لها تابع التوثيق والخصوصية بعيداً عن الغالب في الصحافة وقد شدنا في مشاركاته تركيزه على ادوار وسير مختصرة لمفكرين وسياسيين من الرعيل الأول في بناء الدولة السعودية الحديثة وخاصة حول الرجال والمستشارين من العرب والسعوديين الذين عملوا مع جلالة الملك المؤسس عبدالعزيز بن سعود يرحمه الله. الصديق محمد السيف طور وعمل تلك "البروفايلات" الصحفية الي مشروع ثقافي مستمر على نفس النهج عن طريق العمل بمجال النشر "دار جداول" التي اعتبرها رائدة في مجال كتب السير والغالب عليها لرواد في مجالات عدة في بداية التأسيس ولقد ولازال العزيز محمد السيف يمدني بالهدايا الثقافية من هذه المطبوعات القيمة البعض من تأليفه والغالبية من منشورات دار جداول والتي بدون مبالغة أغنتني عن الكثير من البحث عن الكتب القيمة ، العلاقة الإنسانية والشخصية مع السيف اساسها ابعاد واهتمامات مشتركة وهو مرجع وثقة في اية معلومة احتاجها في مجال كتابة الصحفية ، وهو الآن يقود مشروع ثقافي دسم برئاسته لتحرير المجلة العربية وهي مجلة ثقافية جامعة وجادة من أهم المجلات الثقافية العربية في وقتنا الحاضر رغم مقولات ان الصحافة الورقية قد تلاشت فكيف بالمجلات الأسبوعية والشهرية والمتخصصة فحمد السيف بعلاقاته الثقافية المحلية والعربية والعالمية مع المثقفين والمبدعين من كل الأطياف والتوجهات تجد خلاصة أعمالهم في اعداد المجلة العربية وازعم ان بعد رئيس تحريرها الصديق محمد السيف ج عن الإقصاء والانفتاح على كل التيارات والمفكرين من كل الاتجاهات كانت من عوامل وتميز ونجاح المجلة العربية ومشروع دار جداول . منّ الإصدارات التي إهدائها لي الصديق محمد السيف واستمتعت بها وهي من منشورات دار جداول كتاب فيم للدكتورة دلال بنت مخلد الحربي بعنوان "امرأة في مسار البناء " عن الأميرة نورة بنت عبدالرحمن شقيقة الملك عبدالعزيز يرحمها الله ودورهـا وسيرتها في تاريخ وبناء المملكة العربية السعودية وعلاقتها الوثيقة والعملية مع المؤسس كما تحدث عن ذلك الغربيين والعرب . قبل فترة وجيزة قرأت احد اصدارات دار جداول وهو من تأليف محمد السيف كتاباً بعنوان (بين السفارة والوزارة) وهو سيرة لعشرة من رواد السياسة والدبلوماسية والإدارة في بلادنا ، السيف له السبق في تأليف كتب عن شخصيات مهمة في تاريخ دولتنا في مجالات عديدة واتذكر منها كتاب عن وزير النفط الاول في المملكة عبدالله الطريقي ودره ومسيرته العلمية والعملية في هذا المجال . الكتب عديدة التي يفاجئنا فيها السيف من فترة لأخرى سواء من تأليفه او عن طريق دار جداول واتذكر كتاب عن سيرة الاديب والمترجم والناقد والمهتم بالسينما نجيب المانع في كتاب ماتع ارسله لي السيف عندما كنت في بريطانيا قبل ثلاث سنوات وكانت مفاجأة جميلة وعشت مع هذا الكتاب متعة عظيمة. محمد السيف يكسر الصورة النمطية عن المثقف المتهم بالتنظير في الادارة الثقافية خاصة فالسيف يملك القدرة على الكتابة والتأليف والإدارة بدار جداول وفي المسؤليات التي تسنمها في مواقع في وزارة الاعلام وفي وزارة الثقافة .

* كاتب صحفي

الملـف

شهـــــادات

تعبير صغير عن امتنان كبير.

سعد بن محارب المحارب

- 1 -

تكتنف الكتابة عن الأصدقاء تحديات الانحياز العاطفي؛ بما له من آثار على جودة المكتوب وعدالته. وإن تكن كل كتابة تجربة؛ فإن التجربة تتحول إلى مغامرة في هذه الحالة. وحيث يندر أن يرضى الكاتب عن مكتوبه، فإن رضاه أشد ندرةً في مثل هذه المحاولة. ورغم ذلك أجد أن من المفيد ان نحث أنفسنا على الكتابة عن الأصدقاء لأن مثل هذه الكتابة قد تضيف بعداً لا يدركه الكاتب المراقب عن بعد للشخصية المكتوب عنها، وقد تعزز من مهارات الكاتب في اجتياز هذا الحاجز حتى يحترف اجتيازه لصنع نصوص تخلو من مجاملة أو تحامل يمليه الخوف من المجاملة.

وفوق ذلك كله انا مقبلٌ على إنشاء هذه المقالة تعبيراً عن المحبة والوفاء والتقدير لشخصية ثقافية نبيلة كان لها أثرٌ إيجابي في غير محطة من مسيرتي المهنية والثقافية، ولها إسهامات نوعية متميزة في الصحافة والثقافة. شخصية صنعت بجهودها الأصيلة مثالاً نادراً للفعل الثقافي الإيجابي والمتواصل عبر قنوات عديدة، وأبرزت عدداً من الكتّاب والمؤلفين والصحافيين في منابر مختلفة، وأثرت المكتبة العربية بسلسلة كتب شيّقة في أدب السيرة لعدد كبير من المسهمين في تاريخنا المحلي وثقافتنا، فكانت نبعاً من الوفاء للشخصيات والاحداث والحكايات، ومصدراً ملهماً للتأمل العميق في صفحات تاريخ بلادنا الغني جمالاً وأصالة. ولا شيء يُثقل كتابتي هذه أكثر مما أعرفه عن أبي عبد الله من تعففٍ عن التصدر والسعي للبروز وطلب الشهرة؛ فهو من ذلك النوع النادر من الناس الذين توجت مواهبهم بفضيلة إنكار الذات، واستغنت أنفسهم بحديث أعمالهم عنهم بدلاً من حديثهم عنها.

- 2 -

أحسبُ أن القارئ لهذه المقالة في غنى عن ترجمةٍ تفصيلية للمثقف والصحافي والناشر والباحث الأستاذ محمد بن عبد الله السيف، أو سردٍ لأعماله المنشورة في كتب تعددت طبعات كثير منها، وذاع صيتها، وكتب عنها من يفوقني علماً وبراعةً. لذا فإني اختار أن أركّز على لمحات عنه استخلصها من تجاربي معه صديقاً، واستاذاً، ومديراً، فقد كنت محظوظاً بمعرفته في وقت مبكّر من عملي الصحافي. قابلته للمرة الأولى في مكتب صحيفة "إيلاف" في الرياض، قبيل انتقاله للمجموعة السعودية للنشر والأبحاث، وقبل ان يطلق مع الدكتور يوسف الصمعان -رحمه الله- دار "جداول" للنشر والأبحاث في بيروت، وقبل سنوات من توليه الاشراف على مركز الملك فهد الثقافي، ومن رئاسته تحرير المجلة العربية، وغيرها من المهام والمسئوليات التي أداها ويؤديها مما لا يسعني حصره. وعلى مر تلك السنوات سعدت بأن أعمل تحت إدارته، ومعه، غير مرة، في أعمال صحافية، أو ضمن لجان وفرق عمل ثقافية، وان تجمعني به عشرات اللقاءات العملية والشخصية. وعلى مر تلك السنوات رأيته يكبر قدراً ومكانةً لكنني أشهد أني لم ألاحظ تغيراً في أخلاق الرجل وطباعه وأسلوب معاملته؛ فما زال ذلك المثقف والصحافي الذي قابلته في "إيلاف". إنه بكلمات مباشرة رجلٌ لم تغيره المناصب والمسئوليات، ولم تؤثر في تواضعه النجاحات المتلاحقة، ولم يخفت شغفه بالقراءة والاكتشاف والكتابة، ولم يثنه شيء عن تقديم المشورة الصادقة والأمينة.

- 3 -

إذ أحاول أن أضيف لمن لم يعرفه عن قربٍ فدعني أحدّثك أولاً عن سماته متحدثاً؛ مما قد لا تبرزه أعماله المنشورة، ويغيب عن كثيرٍ من قرّاءه لقلة ظهوره. إن الأستاذ محمد السيف متحدثٌ مسترسلٌ يجمع بين دقة المعلومة وصراحة الرأي؛ دون إخلالٍ بمتعة أو نقصٍ في جاذبية. تتحلى أحاديثه بطرافة، وتتسرب منها لمحات الفكاهة المعبّرة عن دقة الملاحظة، وبراعة التقاط المفارقة. ورغم ما يبدو عليه حديثه من انطلاق وعفوية إلا أنه منظّم فيما يطرحه، يحافظ بشكلٍ مدهش على بلوغ هدفه من كل جانبٍ يتعرض له، او إضافةٍ يقرر التعليق بها. بسيطٌ في غير سطحية، وعميقٌ دون تعقيد. وهو بالإضافة إلى ذلك مستمعٌ يتقن الإصغاء، ومحاورٌ بارعٌ ستدهشك دقة أسئلته واختياره المتقن للحظتها.

- 4 -

أحاول ان أوجز لك أسلوبه في الإدارة؛ في حدود ما اشتركت فيه من أعمال تحت إدارته. يجمع الأستاذ محمد السيف بين البعدين الإداري والثقافي ضمن توازن فريد بينهما. وهو مدير لا يمنح ثقته مباشرة؛ بل بعد تجربة كافية، وعندما يمنحها لا تكون ثقة مطلقة إذ يدعمك ويتابعك بدقة. وبقدر ما يجيد التفويض، ويشجع فريقه على العمل، ويمكنّهم بالصلاحيات؛ فإنه يعمل بنفسه في انجاز الاعمال وإنشاء الاقتراحات. وهو مكتشفٌ دقيق للمواهب الصحافية والبحثية، وفاحصٌ عميقٌ للأفكار والاقتراحات المعروضة عليه. وهو رئيس معتدلٌ في إظهار تقديره، وغير متأثرٍ بثناء مرؤوسيه.

- 5 -

ختاماً، وفي حدود المساحة القصيرة المتاحة، فإني أشير إلى أن محمد السيف مؤلف متميز باختيار موضوعاته، وجدية بحثه في التاريخ والسير الذاتية، ومحاولته الحثيثة لعرض رواية متوازنة ودقيقة عن الشخصيات التي يتناولها في كتبه. وأنه نموذج نوعي في الإدارة الثقافية المحلية؛ فقد نجح خلال فترة إشرافه على مركز الملك فهد الثقافي في تحويله من مكان إلى فاعل ثقافي، لا يكتفي باستضافة البرامج والفعاليات بل ينتجها في صورة ملتقيات ثقافية وبرامج أدبية ومعارض فنية. مثلما استطاع خلق شخصية نوعية للمجلة العربية في عنايتها بطرح الملفات والقضايا الثقافية العربية التاريخية والمعاصرة، دون أن يغفل إبراز تاريخ المجلة وأهم أعمالها في عهود من سبقوه لرئاسة تحريرها. وكوّن خلال مسيرة ممتدة تجربة متراكمة في إصدار كتب لافتةً في مجالات عدة من أبرزها الفلسفة والأدب والتاريخ المحلي والعربي والسير الذاتية عبر دار جداول للنشر؛ التي صارت في سنوات قليلة علامةً بارزةً في النشر العربي، توازن بين الدراسات المنضبطة منهجياً والترجمة والابتكار الفني.

أحد أهم الأسماء العربية الوفية للرواد.

مي خالد العتيبي

في زمن الهاشتاق والترند وفي حالة الفوات التاريخي والحضاري التي يعيشها الإنسان العربي يبدو تدوين شهادة عن كفاح ونضال أحد الصامتين المهمومين بالعمل الثقافي فقط، أمرا نادرا وعزيزا، لذا وددت أن أشارك مع الزملاء في هذا الملف المنشور على صفحات مجلة اليمامة العريقة وليس على المنصات الرقمية فقط. شهادة حق أمام "الحقائق البديلة" الذي ينتجها الذكاء الاصطناعي، دورنا أن نلتفت لمن يجتهدون في نبش الحقائق ويعملون على توثيقها فهم رافد مهم لبناء سردية وطنية تاريخية سعودية لن تنجح القوى المهيمنة في طمسها أو تبديلها أو تزييفها.

أقول: إن كان للوفاء معادلا موضوعيا في عالم البشر فلابد أن يتبادر اسم محمد بن عبد الله السيف لاذهاننا كأحد أهم الأسماء العربية الوفيّة للرواد والمثقفين، الصحفي، كاتب السير ، المؤرخ ، الإداري ، الناشر، (الإنسان)، نكتب عن المثقف الذي يمزج بين البحث والتأليف من جهة والدور الفعلي في الأوساط الثقافية عبر إدارته _على وجه الخصوص_ لمركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي. وترؤسه تحرير المجلة العربية من جهة أخرى. هو يقرأ من الماضي ليكتب للمستقبل مع المحافظة على مسافة آمنة وصحيحة من التاريخ، عبر دار جداول للنشر ساهم هو والدكتور يوسف الصمعان _رحمه الله_ في الحفاظ على السرديات الثقافية والتاريخية السعودية على أكثر من جبهة مع جعلها في متناول جماهير شابة وجديدة. وهو بهذه العملية لا يُكرّم المؤلفين الأصليين فحسب، بل يسهم أيضًا في بناء مجتمع سعودي أكثر وعيا وانفتاحا.

لـذا نشعر أنـه يسبق الزمن بمؤلفاته وتحقيقاته الصحفية، ولأنه متقدم على عصره نجده يهتم برواية سير المثقفين والسياسيين الرواد الذين تقدموا على عصرهم هم كذلك، وجمعوا مثله بين مجالين وأكثر، مثل: النفط والسياسة أو الإدارة والاقتصاد أو السفارة والسياسة والتعليم وهكذا... هذا الهاجس يدفعه باستمرار للبحث، إن كان بوعٍ منه أو دون أن يلاحظ هو نفسه ذلك.

لذا نجد عناوين مؤلفاته تحمل هذا المعنى بصيغ مختلفة.

وللسيف قصب السبق في تعريفنا بجانب مهم وغير مسبوق من تاريخ المملكة العربية السعودية إبان التأسيس، فله أكثر من مبحث وكتاب مهم تناول سير وحياة رجالات المغفور له الملك عبد العزيز، وأضاء جزءا كبيرا من غموض المجتمع السعودي الناشيء آنذاك.

أحيانا أفكر كيف استطاع محمد السيف وزملاء مرحلته من الصحفيين والمثقفين الاستمرار دون الشعور باللاجدوى والإحباط في زمن ليس زمن الرؤية، كيف صمدوا وأي إيمان قوي بالله وبوطنهم وشعبهم دفعهم للإنجاز التراكمي الصامد والصامت بينما كان صوت الآخرين الإقصائيين مرتفعا ومؤذيا، وكما يرى السيف ويميز رجال الأجيال السابقة من الرواد نحن كذلك نعرف أن السيف وأبناء جيله كانوا روادا أيضا ونحفظ لهم تكريما وتقديرا في نفوسنا .

ومن من المرجح عندي أن يلهم إرث محمد بن عبد الله السيف الأجيال القادمة من المؤرخين وكاتبي السير والباحثين والقراء، مما يثري نسيجنا الثقافي ويعزز الوعي الوطني بعمقنا التاريخي بشكل أكبر ويعزز التقدير الأكبر لقوة المرويات الاجتماعية والسجلات التاريخية في زمن السيطرة الخوارزمية والرقمنة التي تتحكم بالوعي وأحيانا تضلله أو تغيبه.

الملـف

شهـــــادات

صوت الثقافة المتنوع.

مشاعل عبدالله

برز اسم محمد السيف في المشهد الثقافي السعودي والعربي كصوتٍ فكري متزن جمع بين العمق والتواضع. لم يكن يومًا ساعيًا وراء الأضواء أو حريصًا على الظهور، بل اختار أن يكون حضوره معطاءً في فكره وإنسانيته. قدّم الكثير من وقته وخبرته لدعم الآخرين، وشارك تجربته بسخاء مع من حوله، فلم يكن دوره مقتصرًا على الكتابة والتأليف، بل امتد إلى توثيق تجارب الآخرين ورواية سيرهم، وهذه فكرة جوهرية في مسيرته، إذ آمن أن الكتابة لا تبني مجد صاحبها فقط، بل تسهم في بناء مجد الاخرين ايضاً، حين تحفظ سيرهم وتجعلها حاضرة في الذاكرة الثقافية. دوماً ما كنت مترددة في الإقدام على تجربة النشر، فالكتابة في جوهرها ليست مجرد تراكم للأفكار أو تسجيل للحظات، بل هي نوع من الخلود المقلق. فالنص لا يفقد قيمته بمرور الزمن ، بل يظل ممتد في ذاكرة القراء، يقرأ من جديد ويفسَّر بطرق قد لا تخطر على بال كاتبها. وهذا البعد على جماله يجعل من تجربة النشر خطوة مليئة بالأسئلة، ويضع الكاتب في مواجهة مباشرة مع ذاته قبل أن يواجه الآخرين. فالكتّاب يغزلون من حكاياتهم خيوطًا من نور، قد تحملهم إلى آفاق السماء، وقد تلتف حولهم كأسرٍ لا فكاك منه.

في تلك اللحظات كان محمد السيف حاضرًا كداعم حقيقي وخبير للتجربة الثقافية وتحدياتها . كان يقرأ النصوص بتمعن، يلتقط تفاصيلها بعناية، ويقدّم ملاحظاته بصراحة متوازنة مع اللطف. وكان يردد دائمًا أن التجارب الأولى لا ينبغي لها أن تكون مكتملة، ويكفي فيها شرف المبادرة؛ فالقيمة ليست في الكمال المبكر، بل في الجرأة على البدء وصناعة الطريق. بهذه الرؤية جعل الخوف من النشر يتحول إلى خطوة أولى طبيعية، تفتح الباب لما هو أنضج وأوسع.

لقد ساعدتني تجربته الشخصية على تجاوز رهبة البدايات. حينما كان يردد علي بأن النصوص لا تكتمل إلا بخروجها إلى العلن، وأن بقاؤها حبيسة الأدراج يفقدها نصف رسالتها. فالكتابة فعل تواصل بالدرجة الأولى، والنشر هو ما يمنح النص الحياة الكاملة. وكان يؤمن أن الكاتب قد لا يملك التحكم في قراءات الآخرين، لكنه يملك أن يمنح نصه فرصة أن يعيش ويتنفس.

لقد امتد أثر محمد السيف إلى ما هو أبعد من كتبه، إذ تحوّل بحضوره إلى جسر يصل بين أجيال متعاقبة من الكتّاب والقرّاء. وهو ليس مجرد مثقف محلي، بل إنسان متنوع الفكر، منفتح على التجارب المختلفة، يقدّم ويحتفي بدعم أصوات قادمة من شتى أرجاء الوطن العربي. كما أثْرى الساحة الثقافية من خلال المجلة العربية و دار جداول، والتي لم تكن بالنسبة له مجرد دار نشر كما اراها، بل مشروعًا ثقافيًا حمل رؤيته الخاصة في تقديم المعرفة الرصينة . عبر هذه الدار قدّم إصدارات نوعية تركت أثرها في المشهد الثقافي العربي، وفتحت المجال أمام كتب رصينة تعكس أفقه الواسع وحرصه على الجودة والمعنى.

لم يكن محمد السيف مثقفًا محدود الأفـق، بل ظل مبهرًا في انفتاحه الثقافي وتنوع اهتماماته. اهتم بالأدب كما اهتم بالفن والسينما، ورأى فيها جميعًا مساحات متكاملة للتعبير عن الوعي والهوية. وقدّم لهذه المجالات حضورًا مميزًا عبر ما نشره في المجلة العربية من ملفات رصينة، أتاحت للقراء فرصة الاطلاع على قضايا فكرية وجمالية متجددة. بهذا التنوع لم يحصر السيف نفسه في إطار واحد، بل جعل من الثقافة بأبعادها المختلفة مجالًا رحبًا للحوار، وميدانًا لدعم التجارب الأصيلة أينما كانت.

بهذه الروح الوقادة ترك السيف بصمة واضحة في نفس كل من عرفه، لأنه لم يكن ساعيًا وراء الأضواء، بل ممتلئًا بما عنده من معرفة وخبرة، يفيض بها على الآخرين من حوله بسخاء. لقد آمن أن الكتابة والنشر لا يصنعان مجد الكاتب وحده، بل يشاركان في بناء مجد الآخرين وتوثيق سيرهم وتجاربهم. وهكذا أصبح نموذجًا للمثقف الذي يجمع بين عمق الفكرة ودفء الإنسانية، وبين التواضع الحقيقي والقدرة على غرس الثقة في كل من يقترب منه.

إن تكريم محمد السيف اليوم هو اعتراف بمسيرته المتنوعة، وبعطائه الذي لم يتوقف عند حدود مؤلفاته أو نشاطه الثقافي، بل امتد ليشمل مساندته للآخرين وتشجيعهم على إيجاد أصواتهم الخاصة. لقد تحوّل من مجرد كاتب إلى شريك في صناعة الوعي، ومن مثقف صاحب قلم إلى شخصية ذات أثر إنساني عميق.

في زمن تتسارع فيه التحولات الثقافية، وتتسع فيه الساحة لنماذج متعددة من المثقفين، بين الأصيل الجاد والدخيل العابر،يبقى محمد السيف نموذجًا للمثقف الـذي يجمع بين الفكر والممارسة، وبين الكتابة والدعم. إنه واحد من الذين جعلوا الكتابة أكثر إنسانية، والنشر أقل رهبة، والخلود المقلق الذي تحمله النصوص أكثر رحابة وإشراقًا.

ولعل ما أتمناه اليوم أن يخصّنا السيف بتوثيق تجربته الثرية في دروب الثقافة والنشر، كما أطلعنا من قبل على تجارب الآخرين في السياسة والاقتصاد والتعليم والثقافة والادب. فتجربته الشخصية لا تقل قيمة عما دونه ، و هي شهادة حيّة على جيلٍ آمن بالكلمة، وكرّس وقته وجهده ليكون للثقافة حضور أعمق وأثر أبقى.

مقال

مواسم العودة إلى الوطن في الرواية العربية المهاجرة.

د. سعد البازعي

ترافقت الهجرة خارج الوطن العربي مع تنامي الحركة الأدبية العربية في مطلع القرن الماضي. رحل الكتّاب من مناطق عربية مختلفة لكن من منطقة الشام بصفة خاصة مع من رحل من الهاربين من الفقر أو الاضطهاد السياسي ليستقروا خارج أوطانهم ولتبدأ بعد ذلك ملاحم الحنين إلى الوطن المتروك. ظاهرة عرفتها معظم آداب العالم بل وتشابهت في كثير من الأحيان أسباب الرحيل لتتضح بعد ذلك أشكال الحنين.

الشعراء العرب الذين شكلوا ظاهرة أدب المهجر كان معهم من كتب الحكايات أيضاً، ومن أولئك أمين الريحاني الذي نسج ما يبدو أنها أول رواية عربية مهاجرة كتبت بلغة غير عربية، ومع أن سؤال العروبة ملح في حالة تلك الرواية التي حملت عنوان "كتاب خالد" (1911)، نتيجة لاختلاف اللغة، فإن كل ما في العمل السردي، باستثناء اللغة، يقول إنه عربي. ويصدق ذلك على أعمال روائية كثيرة أخرى أنتجها مهاجرون آخرون في مراحل تالية سواء كانوا في أوروبا أو أمريكا الشمالية أو غير ذلك من مواطن الهجرة. يصدق على روايات وصفت بالفرانكوفونية وأخرى بالأنغلوفونية. يصدق لا من حيث اللغة التي كتبت بها تلك الروايات وإنما من حيث الحكايات والهموم والتوجهات. كل ما في الروايات عربي، كلها تنطق باللسان العربي متحدية عجمة اللسان.

غير أن من الروايات المهاجرة ما احتفظ بعروبته اللغوية أيضاً مستبقياً من الهجرة غربتها وهمومها فاشترك مع الروايات الأخرى في قاسم كبير هو الوطن الذي عادت إليه الروايات سواء بلغتها أو بحكاياتها وإشكالياتها وأحلامها ليتأكد بذلك أن العودة إلى الأوطان ليست من شأن الأجساد وحدها وإنما هي شأن المخيلة أيضاً. تهاجر الأجساد وتعود الحكايات في رحلات متخيلة تارة وسيلتها الحكاية واللغة وأخرى وسيلتها الحكاية والهموم.

نحن إذاً أمام لونين من الروايات المهاجرة: بعضها كتب بالعربية وبعضها الآخر بلغة البلاد التي هاجر إليها الكتاب، وفي الملاحظات التالية وقفة عند بعض تلك الروايات التي أستعير لتناولها عنوان رواية يمكن اعتبارها النموذج الأكثر شهرة وتأثيراً: "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح. ما تخرج عنه الروايات موضوع هذه الملاحظات هو أنها تمارس هجرة معاكسة جغرافيا، هجرة إلى الوطن، إلى الجنوب أو الشرق بدلاً من الشمال. بعد أن هاجر كتابها إلى الجهات الأخرى عادوا بأعمالهم من حيث ذهبوا، عادوا إما بلغتهم، أي عبر العربية، أو بحكاياتهم، وفي الحالتين ثمة تجسير للفجوة التي خشي الكثير منهم أنها انقطعت أو كادت. غير من المهم التفريق بين أعمال كتبت بالعربية وأخرى بلغات أخرى من حيث صيغة العودة إلى الوطن. من كتب بالعربية كتب بها إما لأنه لا يستطيع الإبداع بغيرها أو لأنه يدرك أن قراءه هم القراء العرب وفي الوطن العربي، في حين أن من كتب بغير العربية كتب بها لأنه لا يستطيع الكتابة بالعربية فلا تكون اللغة وسيلته للعودة إلى وطنه. العودة إلى الوطن في الحالة الأولى هي اللغة والحكاية معاً، أما في الثانية فهي الحكاية وحدها (مع سعي بعض الكتاب لتضمين النصوص مفردات عربية تذكّر بهوية الكاتب وهوية الرواية معاً).

اخترت من بين الأعمال الكثيرة التي يمكن تناولها في السياق المرسوم هنا ثلاث روايات اثنتان منها لكاتب وكاتبة من العراق، ورواية لكاتبة فلسطينية الأصل. الروايتان العراقيتان كتبتا بالعربية بينما كتبت الرواية الأخرى بالإنجليزية. العراقيان، دنى غالي وسنان أنطون، نشرا العديد من الروايات التي حملتهما بصورة أو بأخرى إلى الوطن دون أن تغيب البلاد التي هاجرا إليها. والأمر نفسه ينسحب على سحر مصطفى الفلسطينية الأصل الأمريكية المولد. دنى غالي المقيمة في الدنمارك منذ أوائل التسعينيات هاجرت من العراق أثناء الحصار الذي فرض على بلادها بعد غزو الكويت، وهي الآن مترجمة وكاتبة أذكر أنني التقيتها مرتين الأولى في نيويورك، في مناسبة ثقافية أقامها مركز كينيدي للفنون والثقافة، والأخرى في الرياض حين زارتها مع بعض الدنماركيين بدعوة من السفارة الدنماركية. تعرفت على بعض عملها نتيجة لتلك الصلة وكتبت عنها. أما سنان أنطون فقد تعرفت عليه بالمراسلة بعد أن كتبت عن بعض رواياته التي أعجبت بها وتابعت نتاجه المميز منذ ذلك الحين. تبقى سحر مصطفى التي لم أعرفها شخصياً ولكن صلتي بها قامت نتيجة لاهتمام إحدى طالباتي بها في مرحلة الدكتوراه، د. نورة قداح القحطاني، التي درست أعمالها ضمن روايات أخرى تفاعلت مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر وذلك في رسالتها التي نالت بها درجة الدكتوراه. صلات متشابهة ولكن في ظروف مختلفة، إنما الرابط هنا هو اهتمامي بأعمال أولئك، فهو اهتمام تولد نتيجة كوني شخصياً قريباً من تلك الظروف بمعنى أنني أجد نفسي على برزخ مشابه منذ بدأت صلتي بالآداب الأجنبية متخصصاً ومقيماً مثل غيري من المبتعثين في مجتمعات غريبة، وكان طبيعياً أن تتعمق الصلة أكثر بالقراءة

والبحث والكتابة. مواسم العودة إلى الوطن هي مواسمي أيضاً إلى حد ما.

من هنا نشأ اهتمامي بتلك الأعمال الروائية وفي تقديري أن ما تطرحه من إشكاليات يعرفه أو يعيشه كثير من أولئك العالقين في برزخ العلاقات الثقافية البينية وإن تفاوتت حدة الصلة أو عمقها. التفاوت واضح طبعاً في أن الروايات تحكي أوضاعاً لمغتربين أو مقيمين بصورة دائمة أو شبه دائمة خارج أوطانهم وفي ظروف تجعل العودة صعبة إما لأسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية. سحر مصطفى المولودة في شيكاغو ابنة للمجتمع الأمريكي بقدر ما هي على صلة بمجتمع والديها وأسرتها. هي هنا وهناك لكنها هناك بصورة أكثر تجذراً من الكاتبين الآخرين. وينعكس هذا على الشخصيات التي ترسمها، فهي تتحدث عن أسرة من أصل عربي (فلسطيني) أنجبت أولاداً يعدون أمريكيين بالولادة وبالانتماء الاجتماعي والثقافي إلى جانب الارتباط الاقتصادي، أي جانب العمل. ويختلف ذلك إلى حد واضح عما نجد لدى العراقيين أنطون وغالي، ففي روايتيهما موضوع هذه الملاحظات نرى مغتربين حديثي الانتماء إلى مجتمعات غربية وما يواجهون من ظروف يختلف اختلافاً بيناً عما نجد لدى سحر مصطفى. لننظر في رواية مصطفى أولاً.

الأسرة الفلسطينية في "جمال وجهك" (2020) تتألف من جيلين، جيل مهاجر وآخر مولود في مقر الهجرة. بطلة الرواية، وهي بطلة بالفعل، مولودة في أمريكا، كما هي الكاتبة، في حين أن والديها مهاجران. تنقسم الرواية إلى قسمين، أحداث تواجهها عفاف التي تعمل مديرة مدرسة إسلامية، وذكريات تسترجعها عفاف نفسها أثناء مواجهتها لتلك الأحداث. في قلب الأحداث هجوم إرهابي يشنه عنصري أمريكي على المدرسة الإسلامية ينتهي نهاية دموية أثناء الهجوم الذي تتخلله مفاوضات مع المهاجم يتضح أن الدوافع كراهية المهاجم للمسلمين في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر. غير أن المديرة العربية المسلمة في المدرسة مشغولة في الوقت نفسه بأحداث أسرتها التي تسترجعها في سرد موازٍ لأحداث المدرسة. تسترجع العلاقة المضطربة بين أبيها وأمها، أب نراه في البدء سكيراً لا مبالياً وأم مضطربة نفسياً وغير متدينة، وأخت كبرى تترك الأسرة وتختفي دون أثر. مع تقدم الأحداث يتغير الأب فيصير متديناً وتعود الأم إلى فلسطين. يذهب الأب ومعه عفاف ليؤديا فريضة الحج وبينما يتوفى في الأراضي المقدسة تعود الابنة التي تعمل مديرة للمدرسة. هذه الأحداث سبقت حادث المدرسة لكنها في ذاكرة بطلة القصة حاضرة ومؤثرة في شخصيتها وسلوكها. اضطراب الأسرة العربية يؤكد صعوبة التأقلم مع المجتمع الجديد، بينما يؤكد الهجوم رفض بعض عناصر المجتمع الجديد للاختلاف الثقافي.

عالم مغاير هو ذلك الذي ترسمه دنى غالي في روايتها "عندما تستيقظ الرائحة" (2006) حول الأقلية العربية المقيمة في الدنمارك وصلاتها بالمجتمع المحيط. يغيب الإرهاب ومع أن العنف لم يغب تماماً فإن الرواية معنية بالتباينات المجتمعية من ناحية وبمحاولات الاندماج رغم تلك التباينات من ناحية أخرى. نعرف ذلك مما يقوله خمسة أشخاص ثلاثة منهم من العراقيين واثنان من الدنمارك، يقولونه لأخصائية اجتماعية دنماركية توظفها الدنمارك لمقابلة طالبي الإقامة. ما يقوله أولئك العراقيون للمحللة الراوية الدنماركية يتصل مباشرة بمساعي التأقلم والحنين إلى رائحة الوطن المفتقد. كون الراوية دنماركية يخلق وضعاً فريداً في الرواية العربية المهاجرة، وضعاً يتيح لنا تخيل الكيفية الي ينظر بها الآخر إلى العرب عامة والعراقيين خاصة. تبرز هنا شخصية مروى البصري التي تلعب دوراً محورياً لاسيما فيما يتصل بالارتباط بالوطن وتبدو من هذه الناحية أقرب إلى رؤية الكاتبة نفسها إذا ما قارناها بعراقية تغير اسمها لتصير دنماركية تماماً بعد انفصالها عن زوجها وكذلك عن الرجال العراقيين ذوي الرؤية الذكورية المغايرة بطبيعتها. كما أن مروى مختلفة أساساً عن الدنماركيين. لكن الزاوية الدنماركية مهمة، فمن خلالها تسعى الكاتبة إلى إضفاء المصداقية على النقد الموجه للدنمارك مؤسسات ومجتمعاً. نعرف هنا عن صعوبات الاندماج من خلال تعلق العراقيين بوطنهم من ناحية وتردد البلد المضيف في تقبل أولئك الغرباء بإخضاعهم للرقابة المستمرة. تخبرنا الراوية الدنماركية أن مروى في غمرة حنينها إلى وطنها وتبرمها بوضعها الحالي تتذكر "أنها في بلد لا يستضيفها فحسب وإنما يفرض عليها استضافة شديدة الانضباط، استضافة تحوطها الشكوك وتحرسها الكاميرات... لقد هربت من قمع النظام الديكتاتوري في العراق، وجاءت إلى نظام ديكتاتوري من نوع آخر". تشبّه ذلك العالم الجديد بعالم 1984 في رواية جورج أورويل الشهيرة. ومما يزيد من حدة النقد الموجه للدنمارك أن مروى العراقية تكتشف أن الدنماركية التي تجري المقابلة معها هي نفسها تعاني من مشاكل اجتماعية تدفعها لتتساءل: "كيف يمكنك مساعدتي وأنت بنفسك بحاجة إلى مساعدة، أم أنني على خطأ؟"

إذا كانت الغربة هي الموقع الأبرز في أحداث روايتي سحر مصطفى ودنيا غالي بالصورة التي تجعل الحنين يتجلى من بعيد، فإن الوطن هو المنطلق للأحداث وارتسام الشخصيات في رواية سنان أنطون "فهرس" (2016). نرى العراق التي يزورها بطل الرواية نمير قادماً من مقر إقامته في الولايات المتحدة. لكن وجوده في وطنه يظل وجود الغريب لأن انفصالاً حدث عن الوطن وهو الآن زائر في دور مترجم ضمن وفد صحفي أمريكي. يقول إنه بعد زيارته لوطنه العراق يعود "إلى البلد الذي لم يصبح 'هوم' بعد عقد كامل". حين يعود نمير إلى مقر إقامته يحمل معه العراق وطناً وذكريات وأكثر من ذلك نصاً كتبه شاب مقيم في الوطن اسمه ودود. عنوان النص "فهرس" أي عنوان رواية أنطون، والنص يحكي معاناة شاب عراقي يحيا بين الكتب ويرسم معاناة عراق تحت الاحتلال الأمريكي. ثم لا يلبث نمير، الراوي المقيم في أمريكا، أن يتماهى مع ودود المقيم في العراق فيتماهى نصاهما في مقاومة للاحتلال ومسعى لتحرير الوطن وتحقيق عودة إليه وقد عاد حراً كما ينبغي له أن يكون. يقول ودود في فهرسه ما يمكن أن يقوله نمير أو سنان أنطون نفسه، وذلك في وصف مهمة الكاتب: "مهمتي بالضبط عكس مهمة القابلة أو طبيب الولادة الذي يقص الحبل السري بعد الولادة. فأنا أعيد نسج الحبال السرية بين الأشياء وأمهاتها. أعيد الأوتار إلى الى الأعواد المحترقة. أعيد الدمعة إلى العين".

تلك المهمة يمكن أن تصف وبسهولة الدور الذي تقوم به سحر مصطفى ودنى غالي أيضاً بل وروائيين آخرين كثر، على ما بينهم من تفاوت في وجوه سردية وموضوعية مختلفة. غير أن المساحة المشتركة بين ما أشرت إليه من أعمال هي في المقام الأول مساحة العودة إلى الوطن سواء بالتعبير المباشر أو من خلال اللغة. الكتابة بالعربية مؤشر واضح، لكن ضمن العربية تعمد بعض الأعمال، مثل رواية دنى غالي إلى تعميق الصلة اللغوية بتوظيف اللهجة المحلية، في حين توظف رواية سحر مصطفى مفردات عربية مدمجة في الجمل الإنجليزية. كل تلك وغيرها أساليب استعادة لوطن متباعد فيزيائياً متقارب إنسانياً.

(ورقة ألقيت في الحلقة النقدية مساء الثلاثاء 16 سبتمبر 2025)

شرفة اليوميات

مُغْتَسلٌ.

سهام العبودي

سيمرُّ وقت طويل – على الأغلب – قبل أن أستسلمَ لفكرة الحصول على الخضراوات والفواكه عبر تطبيقات الشراء.

ما زلتُ على ولاءٍ خالصٍ للشراء التقليديِّ الذي يتضمَّن استعمالًا مكثَّفًا للحواسِّ، وحلولًا سخيًّا نادرًا يهب الجسد فرصة للالتقاء بنسخ عن الطبيعة، نسخ ما زالت تناضل من أجل بقائها، ولهذه الرحلة القصيرة إلى تلك العوالم الملونَّة، رحلة تزداد متعةً مع ضمِّ خبرة إلى أختها في مسائل التوقيت والانتقاء والمصادر.

من قائمة «كلِّ شيء» التي أحملها ستكون الخضراوات والفواكه هي الأخيرة في قائمة ما هو واجب الشراء؛ إنَّه نظام رعاية المواد الطازجة التي تندى حياتها قطرة تلو قطرة كلمَّا امتدَّ بها الوقت: لتكون بمنأى عن الدوران، واحتمال العطب تحت ثقل غيرها من المشتريات، ستكون دائمًا في أعلى العربة، أو في فسحة غير مزاحَمة، في مأمن عن كلِّ ما يمكن أن يجرح طراوتها، أو يلبِّد أوراقها المشبعة بالحياة؛ حالة هي أقرب إلى ملاطفة الضحيَّة قبل افتراسها.

زيارات متكرِّرة ترجِّح الوقت المثاليَّ لقطف شباب الثمرة في ذروته من على الرفوف الباردة، ثمَّة لذَّة فريدة في رؤية العربات الآهلة بمحاصيل اليوم، الثمار القريبة العهد بالتربة والأغصان والندى والضوء، ثمرات تعلق بها زهرات ولادتها في شيء من بشاشة لا تليق بموت طريٍّ، لذَّة قصيرة للحواسِّ في مدينة تقاوم الجفاف وتشرب كلَّ قطرة من نداوة نادرة.

أظنُّه تواضعًا عالميًا رتَّبته الخبرة هذا الذي جعل نظام منطقة (الخضراوات والفواكه) يكاد يكون متطابقًا في كلِّ مراكز التسوُّق، مقاربةٌ تسترشد بقوانين المائدة: المقبِّلات والسلطات، مكونات الطبق الرئيس، ثمَّ التحلِّي بالفاكهة. ثمَّة شذوذات تقطع هذا الانتظام، لكنَّه شذوذ يسبِّب مزيدًا من فضول التجوُّل ودهشة الاكتشاف.

أبدأ عادةً بمرجِ الورقيَّات العارم الخضرة، خضرة بتدرُّجات مختلفة، بين وقت وآخر يهاجم هذا المرج – بلطفٍ – رذاذُ ماءٍ حارسٍ يمرُّ به العامل – سريعًا – على الرفوف، يكلأ حياة الأوراق القصيرة بهذا الندى المستعار؛ فيغوي هذا اللمعانُ الطارئ الأيدي للقطفة الثانية، قطف الصُّرر من تربتها الحديديَّة الباردة.

على ذلك المرج يتجاور الخسَّان: الأمريكي والصيني أو يعلو أحدهما الآخر، لم أمرَّ يومًا دون أن تراودني السياسة عن صراعاتها، أضحك من نفسي وأنا أحمِّل رفوفًا مشبعةً بنضارة الكلوروفيل أكثر ممَّا تحتمل. لماذا لا أضع السياسة جانبًا وأكتفي بدسِّ أنفي في حرير الروائح؟! لكنَّ الأمر في النهاية يقتضي أنَّ أفكارنا ليست قبَّعات؛ أنَّنا لا نستطيع أن نخلع أفكارنا عند الباب. في دوائر اللذَّة والشبع والجوع، التخمة والمجاعة هناك دومًا ذراع من أفكارٍ محرِّكة. لطالما بدت مائدة الطعام – بالنسبة إليَّ – خلوة اعتراف، كمٌّ من الأسرار والآراء ومطمور الأفكار، تغدو اللقمة – لسبب ما – مفتاحًا مزدوجًا للفمِّ: يَطْعَم ويتكلَّم!

أمسكُ صرَّة الورقيَّات من عقدة خصرها، أرجُّها كي تتفتَّح للفحص، وكي تنفث الرائحة طاقتها، تلك حركةٌ من أجلي، لكنَّ قلبي يُضمر أنَّ الورقات ستظنُّ لوهلةً أنَّها قد عادت إلى فضائها الحرِّ القديم، قبل أن تستيقظ من ظنِّها اللذيذ مخنوقة في كيس النايلون، لقد اخترتُها؛ هكذا تكون المثاليَّة عبئًا وسبيلًا إلى الفناء.

أترك هذا القسم وخلفي ذلك المرج، أوراق وسيقان تتمالك خضرتها حتى نهاية اليوم.

في المكان الذي أتبضَّع منه عادةً يُشرف قسم معلَّبات على ساحة الموادِّ الطازجة، هكذا يمكن أن أرى أكواز الذرة: تبزغ صفرتها الناعمة بخجل تحت قشورها الحارسة مقابل حبَّات بنات جنسها المعلَّبة الغارقة في ماء الحفظ، حبَّات شاحبة تطلُّ نصف محنَّطة في برزخ رطبٍ طويل الأجل.

الأمر ذاته يحدث مع الفواكه المحفوظة في قسم آخر، كراتٌ وقطعٌ تشبه شيئًا من ماضيها مع كثافة مُسكِّرة رخوة، في هذه الحلاوة المريرة عليها أن

تبقى سنوات، رفوف لا نهائيَّة من كلِّ ما خُنق وأُغرق وجُفِّف في توابيت زجاجيَّة شفافة.
في قسم آخر ناءٍ ستكون نسخ الثمرات المجمَّدة ترنو إلى الوجود تحت كسوة من بلَّور هشٍّ، هشاشة تشدِّد عليَّ أن أهرع بها إلى البيت قبل أن تدمع حياتها الثانية قطرةً بعد قطرة.
في مستعمرة الفواكه والخضراوات تقتضي فكرة التسويق أن تنام الثمار أحيانًا جوار أو أسفل السكاكين وأدوات البشر والفصل والتقشير والعصر، تلك الثمرات لا تعي أنَّها محاطة بمقاصلها، بالقسوة اللامعة في الشفرات المستعدة لإقصاء القشور، محو الاستدارة، وتفكيك وحدة العناقيد، مهارة هائلة تحشدها الصناعة في حربٍ ضدَّ هذه الطراوة

العزلاء، أصوات الآلات رابئ، وأقدام المتسوِّقين وعجلات العربات تقود إلى هذا الافتراس.
من فم المعصرة تخرج فيضانات دمائها، هناك أمواه ملوَّنة تتدفَّق من جسد الثمرة، تصعد روحها فقاقيع سرعان ما تنبجس، تعبر سائلة ومصفَّاة، مودِّعةً ما كانت عليه؛ ليبتلعها القالب، تترك خلفها قشورها وثفالها وبذورها: أشلاء ما بقِي من تلك الحياة القصيرة.
أكان على كلِّ هذه الحلاوة أن تصعد إلينا في معراج من الألم؟
في رقعة من تدرُّجات الأحمر تتوالى صناديق بلاستيكيَّة صغيرة معبَّأة بالثمار الناعمة، كريَّات عائلة (التوتيَّات)، رفٌّ من حيواتٍ أهشَّ، يكفي أن يحلَّ الغروب حتى يزحل اللمعان، وفي الليل ستكون قد فقدت نصف عمرها، اليوم التالي ستكون قد مضت إلى موت محيِّر، مغادرةً هذا الكون الذي: "سرعانَ ما يفنى!"*!
في مناسبات طارئة تكون رحلتي في الليل، رحلة الضرورة التي لا أحبُّها.
الليل زمن غير وديع، أعرف منه أنَّ ثمراتي المنشودة قد انتهكتها عشرات الأيدي، مسَّتها عيون شَرِهة، في الليل تلك الساحة هي حقل من تنهدات الوداع: تينةٌ تدمع سكَّرها الثقيل، مورٌ تشرق فيه سمرة الزوال، ورقيَّات هبط منسوب بشاشتها إلى الحدِّ الأدنى، وعلى لمعة قشرة الطماطم الزجاجيَّة آثار قسوة عشرات الأصابع، حبَّات بطاطا وتفاح تغطيها كدمات التدحرج، بطيخة في فمها سؤال عن سرِّ كلِّ تلك الصفعات، أعرف ما يحصل لهذه الثمرات لأنِّي أفعله، في عرض مفتوح للانتخاب أمدُّ يدي إلى قلب الكومة؛ فتنهار. هناك سحرٌ في قطف الثمرة المختبئة البعيدة، في عدم قبول رشوة القرب الخادعة؛ وحدهم المتبضِّعون الأغرار تغريهم القطفة الدانية على الرفوف.
تعلو أسماء المواطن ثمراتها فيطوِّف بالعقل شيء ممَّا يعدُّ أحكامًا: تحسينًا أو تقبيحًا، الثمار أيضًا تصيبها ضراوة المنافسة، تُقطف من الرفِّ بسبب المكان الذي عرِقت فيه جذورها، أو تُهمل بسبب من ذلك. حتى هي لا تنجو من السياق والأفكار المسبقة.
منذ سنوات ازدهرت فكرة (المنتجات العضوية)، هذا الحصاد المدلَّل في أكياس بأحجام صغيرة، المفرَّغة له الرفوف الأعلى: توقير يغري المتبضِّع، تحريز ما هو ثمين بالحواجز الشفَّافة، وإحاطته بطاقة الندرة الجاذبة، مفاوضة الرغبة في الامتياز داخل الإنسان.. تلك الرغبة الجامحة!
عند الميزان أضع الأكياس، يأخذ كلُّ كيس رقعةً تعرِّفه، اسم وأرقام كثيرة، هويَّة ستزول عمَّا قريب، تاريخ قصير في الوجود، لذَّة و(مُغْتَسَلٌ) لعيني البصيرة.
أمضي وأنا ألقي نظرة على تلك البرتقالة التي نسيت أن أقطفها، البرتقالة الناجية – مؤقَّتًا – تضحك الآن من (سُرَّتها)!

* عمر أبو ريشة.

شرفة الهديل

في مديح عبدالله نور :

السفينةُ التي أنْكَرَتْها الرياح.

عبدالمحسن يوسف

(1)

حين أكتبُ عن أستاذنا الراحل عبدالله نور - رحمه الله - فأنا أكتبُ عن ذلك " النورِ " الناضجِ العميقِ الذي كان يناضلُ بشراسةٍ ضدَّ الذين كرَّسُوا حبرَهم زمنًا طويلًا في مديحِ الظلام.

لقد كتبتُ عنه وهو حيٌّ مثمرٌ ومقمرٌ بيننا ، وهاأنذا أكتبُ عنه - وهو الغائبُ الحاضرُ - من بابِ الوفاءِ مدفوعًا بمحبَّةٍ عميقةٍ له شخصًا ونَصًّا ودورًا باسلًا في معتركِ الكتابةِ والثقافةِ والصحافةِ والحياةِ والتنويرِ، فهو قارئٌ نَهِمٌ ومثقفٌ كبيرٌ منفتحٌ على ثقافاتٍ مديدةٍ وآفاقٍ عريضة.

كان يقرأُ كثيرًا حَدَّ الغرق ونسيان ما حوله ، وكان يغلقُ على نفسِهِ حُجْرَةَ المكتبةِ مستسلمًا لغوايةِ كتابٍ أو كتبٍ تتدفقُ جمالًا وإبداعًا ونورًا بين يديه ..وعندما يزورُ صديقًا ويكتشفُ مكتبةً وارفةً في بيتِهِ يطلبُ منه أنْ يوصدَ بابَ تلك المكتبةِ عليه ؛ ليمكثَ هنالكَ أيامًا معتكفًا بين أرغفةِ النور غير مكترثٍ بضجيجِ الحياةِ في الخارج ، فالمكتبةُ في وعيه العالي هي عالَمٌ كبيرٌ مفعمٌ بالحياةِ ، بل هي الحياةُ ذاتُها التي تملأُ قلبَهُ بالأعيادِ الأنيقةِ وبالأفكارِ الناضجةِ التي لا تهجسُ بالانطفاء.

(2)

في اهتماماتِهِ الثقافيةِ كان يؤاخي بين القديم والحديث ، ولقد كان يغرسُ قدمًا في بستانِ الماضي وقدمًا أخرى في حديقةِ الحاضر ، وكان يجلسُ على ضفافِ الموروثِ بوعيٍ عميقٍ كما يجلسُ على ضفافِ المنجزِ الحداثيِّ بما يضاهيه من وعيٍ أو يزيد.

عبدالله نور يمتلكُ لغةً بهيَّةً حين يكتبُ ..وحين يعتلي المنبرَ متحدِّثًا أو مرتجلًا كانتِ اللغةُ تتوهجُ في فمِهِ ، بل كانت سخيَّةً معه فيما هي تمنحُهُ أقمارَها وسحرَها وفتنتَها.

وإنَّ من أهمِّ صفاتِ " نورنا " هذا تشبثُهُ ببسالةِ الفُرْسَانِ في قولِ ما يراهُ صدقًا وحَقًّا، فضلًا عن أنه يمتلكُ حساسيَّةً

نقديَّةً عاليةً وجريئة.

(3)

في وقتٍ من تلكَ الأوقاتِ المزهرةِ كان عبدالله نور حاضرًا بكتاباتِهِ المؤثِّرةِ ومشاكساتِهِ البارعة ، واستطاعَ بحضورِهِ الحثيثِ أنْ يحفرَ اسمَهُ عميقًا في الذاكرةِ ، وانْ يكونَ مِلْءَ السمعِ والبصرِ والأفئدة، ولقد كانت له مآثر رائعة أهمُّها وقوفُهُ النبيلُ خلفَ عددٍ من المبدعين الشباب في زمنٍ يهيمنُ عليه الانغلاقُ وتسودُ فيه الريبةُ من أيِّ جديدٍ يحاولُ انْ يرفعَ رأسَهُ مثل شمسٍ جريئةٍ غير مكترثةٍ بنوايا العتمةِ الحالكة ، إذْ كان يشكِّلُ لهم بوصلةً حصيفةً دالَّةً على الجمال ، وكان قلبُهُ الجميلُ يدفعُ هؤلاء الواعدين المثقلين بالغيومِ وأعراسِ المطر إلى حقولِ الإبداعِ الجديدِ واللغةِ الطازجة ، فاتحًا أعينَهم على كتبٍ مقمرةٍ وتجاربَ مثمرة ، وكان في كلِّ مناسبةٍ ينافحُ عن غصونِ التجربةِ الجديدةِ أمام توحشِ تلك الغابةِ المؤثثةِ بالغبار ، فَكَمْ جَنْدَلَ عددًا من الأغبياء ، وَكَمْ أسكتَ أدعياءً وانتهازيين وكَذَبَةً وكَتَبَةً كانوا يتوهمون أنَّ رؤوسَهم ترفعُ سقفَ السماءِ وتحتكرُ الآفاق.

(4)

في حياتِهِ المليئةِ بالأحلامِ الجميلةِ كان " نورُنا " الطويلُ كنخلةٍ يحلمُ بمشاريعَ ثقافيةٍ عريضةٍ ، وكان يفصحُ عنها في كلِّ مناسبةٍ أو لقاءٍ أو حوار ، لكنَّ الظروفَ - فيما يبدو - لم تكنْ مواتيةً ولم تسعفْهُ

كـي ينجزَ ما كان يحلمُ بِهِ وما كانَ يتمنّـى الوصولَ إليه على شـاطئ الواقع ، فهو كمـا يتجلّى لي دائمًا السفينةُ الأنيقةُ التي غدرَ بها البحرُ وأنْكَرَتْها الرياح.

(5)

من الحكاياتِ الطريفةِ التي تستحقُّ أن تُروى عن أسـتاذِنا عبدالله نور هذه الحكاية : كان يعشـقُ " لامية العـرب " للشـنفرى التـي يخبِّئُها عميقًا فـي القلب ، وكان يحفظُها ، وكان يسـتعيدُها بسـهولةٍ متى شـاءَ خصوصًا حين يكـونُ المزاجُ رائقًا..حينمـا يتجلّـى يلقيها على المتحلّقين حولَهُ بطريقةٍ مدهشةٍ ، طريقـةٍ تسـرقُكَ مـن همومِـكَ الثقيلةِ كالرصـاص ، ومن ضجرِكَ الغبيِّ الذي يضعُ سـاقًا على سـاقٍ ؛ لتجدَ نفسَـكَ محلِّقًـا في الأعالي تكادُ تلمسُ خَدَّ السماء.

(6)

وكما هو متـذوقٌ حصيفٌ للشـعرِ العربـيِّ القديـمِ نجـدُهُ متذوقًـا حصيفًـا أيضًـا للشـعرِ الحديـث.. يتجلّى تذوقُـهُ أكثر ما يتجلّى حين يصـدحُ بقصيـدة " دانْ ..دانْ " للشـاعر الفلسـطيني الكبيـر فواز عيـد الذي أقامَ بيننـا زمنًا طويلًا ، والذي ثَمَّـنَ أسـتاذُنا عبدالله نور شِـعْرَهُ وتباهى بتجربتِـهِ المميزةِ فـي كلِّ محفـلٍ ثقافـيٍّ أو ملتقًى إبداعيٍّ قبـلَ أنْ يمتدحَهُ الشـاعرُ الكبيـر محمـود درويـش بعبارتِهِ الشـهيرةِ هذه : " إنّني تعلمتُ من فواز عيد ".

(7)

في هذا السياقِ من المدائحِ الجميلةِ التـي تليقُ بنورنا الشـاهق ، أتذكَّرُ هنا بجلاءٍ حديثَ أسـتاذِنا الصحفيِّ الكبيـرِ وأحدِ روّادِ القصـةِ الحديثةِ في بلادنـا الراحلِ سـباعي عثمان - صاحـب " الصمـت والجدران " - وهو يستعيدُ جمالياتِ عبدالله نور ومآثرَهُ البهيَّةَ في ذلك الزمنِ الذي يكادُ يكونُ بعيدًا.

قـالَ سـباعي بصوتِـهِ الرخيـم وبكلماته البطيئـة كما هي عادتُهُ حين يسـردُ الذكرياتِ كما لو كان يتلذذُ بسردِها :

" الوسـيلةُ الوحيـدةُ التـي كانـت تقلُّنـا مـن مبنـى الصحيفـةِ إلى مقهًـى يتقنُ بهجةَ السـهر - في ذلـك الوقـتِ المتأخـرِ مـن الليل - هـي صـوتُ عبـدالله نـور وهو يصـدحُ بلاميـة العرب للشـنفرى ..كان إلقاؤُهُ الجميلُ المؤثّرُ يقصّرُ المسافةَ ويُنسـينا تعبَ السيرِ بعد يومٍ صحفيٍّ مُضْنٍ وَصَفَهُ الشـاعر محمود درويش بـ " طاحونة اليومِ المعتاد ".

(8)

عبدالله نور يمتلكُ حساسيَّةً رائعةً تجـاه اللغـة العربية ، فهـو يعلمُ أسرارَها ومفاتيحَ جمالِها وتجلياتِ فتنتِهـا وإنْ كان يلقـي محاضـرةً وليـس نَصًـا شـعريًا فارهًـا ..إنه يعلـمُ جيـدًا كيف يحـرّكُ غصونَ شـجرةِ الفصحى ويفعـلُ بها كما تفعلُ النسـائم، وهـو أيضًا يعلمُ كيـف يجعلُ صامتَهـا ناطقًا بليغًا يأسرُ الروح.

(9)

حيـن كنـتُ تلميـذًا فـي المرحلةِ الثانويـة - حيـثُ أعيـشُ فـي " جزيرة فرسـان " المطوَّقةِ بالزرقةِ والأحـلام - كنـتُ أتابعُ بشـغفٍ ما يكتبُـهُ " نورُنا " الكبيرُ في مجلةِ " اليمامة "..لقد كانت رائحةُ " عَرَارِهِ " تمـلأُ الرئتين الغضتيـن ، وكلما لامَسَتْ عيناي كلماتِهِ كانت تضوعُ رائحةُ العَرَارِ في غرفتي الصغيرة.. لقد كانت زاويتُهُ تلك محرضةً على القـراءةِ والثقافـةِ واقتنـاءِ الكتبِ

الجميلةِ والنـادرة ، وكان كلُّ نَصٍّ من نصوصـه يجعلنـي قريبًا من رائحـةِ الأهـلِ وعبقِ الأرضِ وسِـرِّ اللغة.

(10)

أخيرًا أقول : هذا الاسـمُ الكبيرُ في سـاحةِ الأدبِ والثقافـةِ شـاهدتُهُ مرتين فقط..لم أجرؤ على الذهابِ إليه لمصافحتِهِ والسلامِ عليهِ تهيُّبًا ، فقامتُهُ المديـدةُ جعلتني أكتفي بالنظرِ إليـه والإصغاءِ إلـى كلامِهِ من بعيد ..لقد احتفظتُ بمسـافةٍ ما بينـي وبينـه ؛ رُبَّما لكـي تظلَّ صورةُ مَنْ كنتُ أقـرأُ له وأنا صبيٌّ غَـضٌّ علـى بسـالتِها ونضارتِهـا وفتونِها ..ثم مـا الذي يمكنني أنْ أقولَ في حضـرةِ عبدالله نور ذلك " الأستاذ " الذي كان مليئًا بالرعودِ والوعودِ والغيومِ و المطر ؟

مقال

«كانت الرحلة حزينة للأسف»..

كيف غيَّر «تيك توك» مصير الكلمات؟

د. بدور بنت محمد الفصّام

لم أكن أبحث عن الفقد لكنه وجدني، حين كتبت في خانة البحث على منصة "تيك توك": "كانت الرحلة حزينة للأسف"، متوقعة أن تكون النتائج محملة بمقاطع العشاق: أشواقهم، وعتابهم، وقصصهم، والصدف التي تجمعهم، وصوت البدر يردد في خلفيات هذه المقاطع القصيرة:

"لا إنت وردة ولا قلبي مزهرية من خزف
صدفة وحدة جمعتنا شوفي شلون الصدف
التقينا في مدينة وفرقتنا ألف ميناء
اغفري للريح والموج والسفينة
كانت الرحلة حزينة للأسف"

ظهرت النتائج، ووجدت الكثير من المقاطع على نحو مألوف، حمل الشطر فيها معناه الأول وصورته الأصل: وجه البدر، وعبادي يغني، وأمواج تتكسر، وسفن تبتعد، وخلفيات سوداء ممهورة بملامح عشاق يفترقون، لكن هذه المقاطع لم تلبث كثيرًا فسرعان ما تغيرت وظهرت مقاطع أخرى مكررة يتردد فيها نفس الشطر بصوت البدر، مصحوباً بموسيقى حزينة ومشاهد مختلفة: صور سونار مؤطرة وباهتة، وأيد ترتجف فوق بطون فارغة، وأجنة مفقودة، ومستشفيات باردة، ودعوات العوض والصبر الجميل، وفي هذه الصور والمقاطع، تكمن المفارقة، فلم تعد الرحلة سفرًا بين المدن، بل حملًا انكسر قبل أن يكتمل، وصارت السفينة رحمًا نازفًا، والموج يندب، ولا صوت للريح ولا أثر للموانئ، وكانت الرحلة حزينة للأسف، لكنها ليست رحلة عشق محكومة بقوانين الحب والخسارة، ومحمولة على أجنحة العتاب والمواجهة، بل رحلة فقد لروح لم تولد، ونشيد عزاء على جنين مات قبل أن يذوق طعم الحياة.

هناك في فضاء "تيك توك" غادر الشطر ديوانه، وانتقل على هيئة صوت يتيم تبنته كل أم فقدت جنينها، هذا الانزياح الصادم من مقام الحب والعتب، إلى مقام الفقد والخسارة، يخبرنا كيف يمكن أن تموت المعاني في سياقها الأصل؛ لتولد من جديد، بواسطة جمهور يحملها جراحاته الخاصة، في منصة رقمية تقلب المفاهيم وتعيد بناءها مرة أخرى.

وعلى المنوال ذاته، بيت آخر شائع في المنصة، وهو للبدر كذلك: "انتظرتك عمري كله، وإنت حلم، ومرت الأيام والله وإنت حلم"، خرج البيت في فضاء "تيك توك" أيضًا، من ديوان الحب إلى ألبومات الحياة اليومية للناس، فتردد في نتائج البحث على شكل "صوت" فوق صور ومقاطع لبشارات وأخبار سعيدة منتظرة: منزل العمر، أو مولود جديد، أو وظيفة، أو في مشاهد التخرج وحفلات الزفاف، لينتقل من مقامه ومفهومه، إلى حياة أخرى لا تشبه طفولته أبدًا.

إن ما حدث للنصين هو هجرة سياقية واسعة من مرافئ العشاق إلى مراسم الرثاء، ومن همسات الغزل إلى بشارات الفرح، وهذه الظاهرة عرفتها، كثيرًا وبصور متعددة، البلاغة، والتداولية، ونظريات النقد الحديث، ثم دراسات ثقافة الجمهور الرقمي واستجابة القارئ، لكنها تتسع في الفضاءات المفتوحة مثل "تيك توك" وغيرها، وتتجاوز كل القوانين والحدود، وتنتج نفسها مئات المرات على شكل مقاطع صوتية ومرئية، ضمن ما يسمى: "تريند"؛ لتترسخ في العقل الجمعي بمفهومها الجديد، وتنتقل من خصوصية المعنى والتأويل، إلى عمومية التجربة والشعور.

هذه القابلية لتحول النصوص ليست عشوائية، وبيتا البدر، ومثلهما كثير، يحتملان هذا التحول لسمات مميزة، فالكلمات قليلة وسهلة الاجتزاء والحفظ، وتكتفي بذاتها مثل ومضةٍ شعرية مكثفة وقالبٍ شعوري صالحٍ لكل زمان ومكان، ولأي موقف أو مخاطب، والاستعارة فيها مفتوحة ومرنة بما يكفي لأن تفسر بأكثر من صورة، وشعورها غامر ويحمل طابعًا عامًا ونبرة تتكيف وتتجدد، وتتأقلم وتتموضع، مع أي صورٍ أو نصوصٍ مرافقة، كما أن "تيك توك"، على وجه الخصوص، سوقٌ رقمي بلا جدران، وبلا حدود للحرية، ولا قوانين للملكية، تتجول فيه النصوص دون قائل، ويتبناها مستخدموه، الصغار على الأغلب، دون أن يعرف أكثرهم أين ولدت؟ ومن صاحبها؟ وماذا تعني؟ ثم إن ديناميكية التحول فيه تبدأ ببساطة وعفوية وتنفجر بسرعة مذهلة، إذ يكفي أن يطلق مستخدم ما شرارته الأولى: النص على شكل صوت قابل للحفظ السريع والاستخدام

السهل، مصحوبًا بموسيقى مناسبة، وصور أو مقاطع لحدث مؤثر وتجربة عامة، ومونتاج محترف، تليه تعليقات مساندة وداعمة تصنع تأويلًا جماعيًا يشرعن المعنى الجديد، وخوارزميات تدفع المقطع إلى جمهور أوسع وتفاعل أكثر، ثم يكرر هذا الاستعمال ألاف المرات بنفس الصورة مع إضافات شخصية بسيطة، لينهار بعدها المعنى الأصل، وتسود القراءة الجديدة.

مثل هذا وأكثر، يحدث في أغلب منصات التواصل الاجتماعي، حين تنتشر مقاطع صوتية فوق فيديوهات أو صور متباينة، وليس بين المقطع الصوتي والمشهد أو الصورة صلة مباشرة، لكن هذه النصوص الصوتية تكتسب معان جديدة بفعل الشيوع والتكرار والموقف المشترك، فتتراكب مع هذه المقاطع والصور، ويتلقاها الناس في إطارها الاجتماعي وليس الحرفي، وتصبح مثل إشارة ضمنية خلفها خبرة جماعية، تتجاوز حدود المعنى الحرفي، إلى معان استعارية كالسخرية والتهكم مثلاً، أو الغضب والتهجم، أو غيرها من المفاهيم.

هذه الانتقالات السياقية المدهشة، قد تتقاطع، بشكل أو بآخر، مع ما طرحه (ميخائيل باختين) في أطروحاته حول اللغة والمعنى، إذ يفترض أن الكلمة لا تحمل المعنى في حد ذاتها، بل تحمل معناها في سياقها وعلاقتها بالكلمات السابقة واللاحقة، في حركة مستمرة تتحاور فيها الخطابات مع سياقات مختلفة وسط فضاء حواري متعدد الأصوات، يكون فيه وجود الكلمة وحياتها هو وجود كلمات الآخرين فيها، قبولًا أو رفضًا، وتقاطعًا أو تناقضًا، كما لو أن للكلمة علاقات اجتماعية مأهولة بمقاصد الآخرين، وحياة يومية تتكلم فيها مع البشر وتعكس تصوراتهم فيها، وكما يقول: "المتكلم لا يأخذ الكلمة من القاموس، بل من شفاه الآخرين، في سياقات الآخرين، وفي خدمة مقاصد الآخرين"، وهو ما حصل مع بيتي البدر، إذ انتقلت الكلمات إلى ملكية المتكلم القصدية، بفعل عوامل سياقية خضعت فيها إلى معنى جديد، وتوجه جديد، خارج تمامًا عن ذاتها الأولى.

وإلى جانب (باختين)، يمكن أن نفسر هذه الظاهرة من منظور تواصلي،

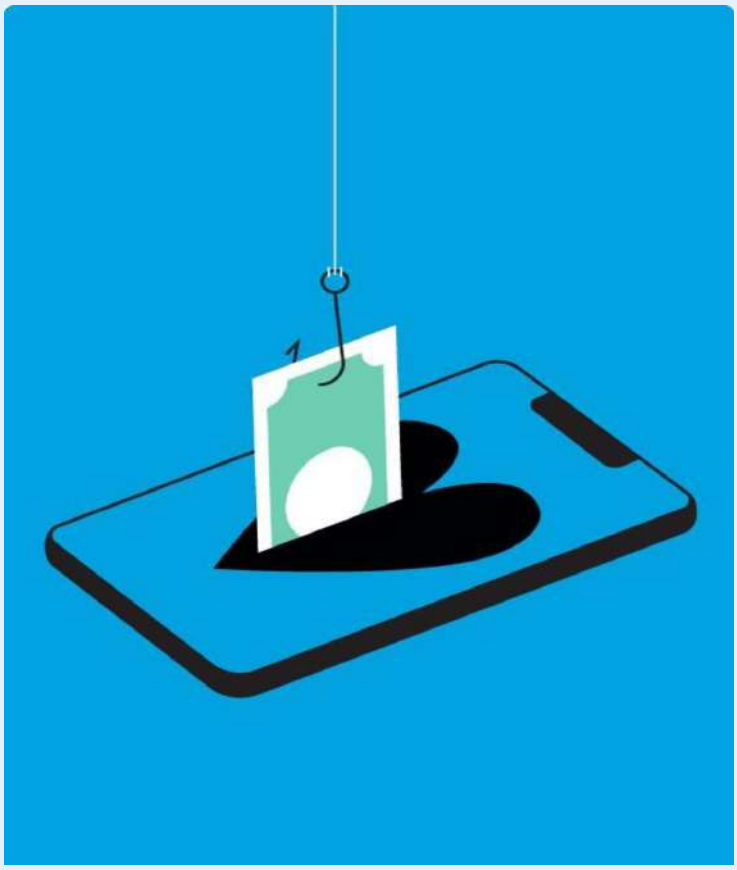

حين نستدعي نظرية الاستخدامات والإشباعات، التي تنص على أن الجمهور فاعل نشط يختار استهلاك الوسيلة الإعلامية بما يتفق مع حاجاته العاطفية والنفسية والاجتماعية، كما يعرف جيدًا أسباب رغبته في هذا الاستهلاك ودوافعه، وبالتالي فهو يستخدمها بوعي، ويختار ما يتوقع أن يشبع هذه الرغبات، بل يحق له أيضًا أن يفسر هذه الوسائط ويوظفها كما يشاء، وبناء على ذلك، نستطيع فهم انتقال بيتي البدر، وغيرهما، إلى معان أخرى؛ بغية إشباع حاجات تتصل بالتفاعل الإنساني، والبحث عن تضامن مجتمعي، وتعاطف رقمي واسع.

ومن هنا، نتبين أن في منصات التواصل الاجتماعي نصوصًا كثيرة لم تعد ملكًا لصاحبها، وكلمات أكثر خرجت ولم تعد، لم تذهب إلى فراغ، بل عادت بأثواب جديدة، ولم تتبدل مواقعها فحسب، بل أصبحت علامة في ذاكرة جمعية، وأرشيف وجداني واسع يعبر بين الأجيال، وينغرس في تجارب متباينة لا تكتفي بمصير واحد، وعليه، فإننا ندرك أن الكلمة ذات المعنى الوحيد والتفسير الواحد، في هذا العصر الرقمي المتسارع، كلمة ميتة، لأن كل كلمة يجب أن تحمل في داخلها قدرة الانزياح ومعجزة التأويل، فتولد ألاف المرات بمعان مختلفة وهويات متعددة، وتتنقل في الفضاءات بوصفها حدثًا اجتماعيًا مفتوح الاحتمالات، وكائنًا قابلًا للتبني والتوظيف ومشحونًا بالمعاني، يعيش بقدر ما يُستعمل، ويرتحل في حركة دائبة، من الخاص إلى العام، ومن الفردي إلى الجماعي، عبر الإسقاط، والمشاركة، والتكرار، والتداول الرقمي، وتعدد المقامات، وإشباع الحاجات، وغيرها من الوسائل التي تدفع الكلمة إلى انتحال وجوه جديدة لا تخضع لسلطة أحد.

هذا التحول العجيب في ملامح الكلمات والنصوص داخل العوالم الرقمية التفاعلية، وحتى بين الألسن، ومع ما يصحبه من اتساع خارطة المعاني، واحتمالات التأويل، وتبدل السياقات، وتبني أصوات مختلفة، يفتح سؤالًا في أذهاننا: هل ستواصل هذه الكلمات والنصوص هجرتها حتى تنكر تمامًا أصلها وتفقد موطنها الأم؟ أم أن لهذا الترحال منتهى وعودة؟

مقـــال

الترجمة في يومها العالمي..

قُبْلة من وراء الزجاج.

إبراهيم زولي

يُروى أن العرب، منذ أن أشرقت عليهم أنوار الترجمة في عصر الخليفة المأمون، وحتى يومنا الراهن، لم يترجموا إلا ما تترجمه دولة كإسبانيا في عام واحد! وأن ما تنقله أوطاننا من لغات العالم في سنة، لا يعدل خمس ما تترجمه دولة وادعة مثل اليونان وفق تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية 2003م

مآل مؤلم، يكشف أي نافذة أوصدناها طوعًا، وأي عالم أغلقناه علينا بحجة الخوف من الآخر.

الترجمة كانت، وما تزال، المعبر السحري الذي يعبره الفكر الإنساني من ضفة إلى ضفة. فمنذ أن اتسعت بغداد بدار حكمتها، وأسند الخليفة مهمة فتح العالم إلى المترجمين، شهدت الحضارة العربية ازدهارها الكبير، وكأن الترجمة كانت مفتاح الباب السري نحو النور.

لكن ذلك النور خبا، وخلفه تراكمت ظلمات الانغلاق، يوم ظنّ البعض أن الآخر عدوّ لا رسول معرفة. وما علموا أن قبول الآخر هو الفرض الأول لمن أراد الترجمة، وأن الترجمة، كما قيل، خيانة مشروعة، وقبلة من وراء الزجاج: خيانة لأن النص لا يُنقل أبدًا كما هو في لغته الأولى، وقبلة لأن الترجمة فعل عشقٍ نبيل، رغم العوائق والمسافات.

لولا الترجمة، لظل إدغار آلن بو شاعر "الغراب" في ظلال النسيان، بسبب بودلير الذي حمل قصائده إلى العالم بلغته الفرنسية الفاتنة. ولولا ترجمات صالح علماني، لما عرف القارئ العربي روعة أدب أمريكا اللاتينية، ولا كانت للرواية العربية هذه الطفرة من السرد المتجدد خلال العقود الماضية. وأكاد أجزم أن أغلب الروائيين العرب في ال 25 سنة الماضية تأثروا بترجمات علماني ولغته الفارهة.

ونحن، كيف ننسى أن أول شعاع للرواية العالمية جاءنا عبر ترجمات رفيعة: "آلام فرتر" لغوته، حين صاغها أحمد حسن الزيات ببيانه الساحر عام 1961؟ أو "فاوست" حين ترجمها محمد عوض محمد في 1929؟ كيف لا نذكر "قصة الحضارة" لويل ديورانت، حين أفاض علينا محمد بدران وزكي نجيب محمود من أنهارها العذبة؟ أو قصائد "سافو"، أول شاعرة عرفها التاريخ، حين ترجمها عبدالغفار مكاوي؟ وفي هذا المقام، يحضر عبدالرحمن بدوي صاحب الزمان الوجودي، ونقف تقديرا للفيلسوف العربي الأول بحسب توصيف طه حسين له. أنجز أكثر من مئتي كتاب ونقل من اللغات القديمة كاليونانية والحديثة كالألمانية، وجوبه مشروعه من التكفيريين، رغم ترجمته للسيرة النبوية، وكتابه دفاعا عن محمد.

كم من الأسماء العظيمة عبرت إلينا عبر الترجمة، ثم تاهت في غبار النسيان؟!

في طفولتنا، كانت عبارة "تمت الترجمة بمعامل أنيس عبيد" عنوانًا لكل مساء تلفزيوني مدهش. كنا نشاهد أفلامًا أجنبية على التلفزيون السعودي أواخر السبعينيات، ونهمس في سرائرنا: كيف استطاعت هذا الرجل أن يقوم بتعريب لُغة الآخر؟ وكان أنيس عبيد، ذلك الرائد الصامت، أحد الذين أدركوا أن الترجمة ليست فقط كلمات تُنقل، بل جسور تُبنى، وحكايات تُعاد ولادتها بلون آخر.

وكما فعل أنيس عبيد على الشاشة، فعل رفاعة الطهطاوي حين بعثه محمد علي باشا إلى فرنسا، فأدرك الطهطاوي أن الانفتاح على حضارة الآخر لا يهدد الهوية، بل يثريها. فعاد ليؤسس مدرسة الألسن، حاملاً شمس الترجمة إلى أرض النيل.

ولعلنا، أكثر من أي وقت مضى، بحاجة لأن نعيد تعلم الدرس الأول: أن من يخشى الآخر لا يستطيع أن يترجم له. وأن من يظن أن العالم مؤامرة ضده، سيبقى حبيس ذاته، لا يعبر ولا يعبر إليه أحد.

الترجمة، ولمناسبة يومها العالمي الذي يصادف الثلاثين من سبتمبر في كل عام، ليست ترفًا ثقافيًا، إنها شرط حياة... نافذة مشرعة للإنسان على أخيه الإنسان، وجسر لا يبنيه إلا من عرف كيف يحب الآخر، ولو من وراء الزجاج.

وفي زمن الرقمنة والذكاء الاصطناعي، تبقى الترجمة فعلًا إنسانيًا يتجاوز التقنية. إنها ليست مجرد نقل كلمات، بل جسر للتفاهم بين الثقافات، ورسالة حب لا تكتمل إلا حين تعبر القلوب اللغات، ولو من وراء الزجاج.

مقال

أم الهايكو وأمُّنا الروحية.

د. عبدالله بن محمد العمري

الأم هي التي ولدت أو ربت، وقد تكون الأم هي الأخت الكبرى، وقد تكون الابنة التي تمنح والديها اهتمام الأم وحنانها ورعايتها، وهي كذلك الجسر الإنساني الروحاني، فالأمر لا يرتبط بالسن ولا بالولادة ولا بنوع الصلة ولا التربية فقط، وإنما يعبر كل تلك الآفاق ليرتبط بمفهوم الأمومة المستبطن لتلك المشاعر التي لا يمكن أن نصفها أو نعبر بكلماتنا عنها. هذه هي علاقتنا نحن جيل أبناء أمنا الروحية د. خيرية السقاف. الأم الروحية ضمن أمهات روحانيات وآباء روحانيين، كانوا بمثابة الحبل السري الذي يربط ملكاتنا ومواهبنا الأدبية المتنوعة والصحفية المتعددة بجسدنا الثقافي وطموحنا الإنساني.

وسامح الله الدكتور أحمد القيسي الذي أحزننا وأفرحنا، أحزننا لأنه جعلنا نشعر بالتقصير أمام قامة في الأدب والأدب، والصحافة والحضور المشرف للمرأة السعودية من جيل الرائدات، وأفرحنا لأنه بادر وأقدم وكتب ووثق الريادة لمن يستحقها، ونسب الأسبقية والتأسيس إلى الاسم وأثبت القول بالمستندات اللازمة التي تمنح الدكتورة خيرية السقاف السبق التاريخي والإبداعي خليجيا في كتابة نص "الهايكو"، ولم يكتف القيسي بذلك فرفع من قيمة كتابته التوثيقية والإبداعية من خلال رباعية ذهبية تمثلت في عنوان الكتاب الذي افترش اللون المناسب وأبرز اللوحة المعبرة، والجهة المنتجة للكتاب وهي النادي الأدبي الثقافي بنجران، وأحمد بذاته النقدية وقلمه الأنيق في العرض والتوضيح وذائقته في اختيار النصوص وترتيبها، وحسن البناء المنهجي، وصولا إلى القيمة الذهبية الرابعة في التقديم للكتاب من خلال رائد من رواد الثقافة العربية، ومعاصر لأدبنا السعودي، ومراقب وفاعل في تشكيل صورة مكتملة عن مشروعنا الوطني النقدي، وأحد الآباء الروحانيين لأجيال سعودية الدكتور عبدالله الغذامي.

فن الهايكو الياباني الذي تبناه شاعر يكتب الفصيح والشعبي بمهارة الناظم وبروح المبدع وبنفس المتذوق وصرامة الناقد مما أعطى لهذا التبني قوة تجابه القوة المضادة لهذا الفن وتقف لها ندا لند، وتجعل من القيسي محطة مهمة ومفصلية في تاريخ الهايكو السعودي والخليجي والعربي، وتمنحه صلاحية التأكيد على ريادة خليجية للدكتورة خيرية لهذا الفن عندما جمع بين الممارسة الإبداعية والتتبع والتوثيق التاريخي، وقد حاولت أن التقط خيوط هذا التمكن وأنسج منها حكاية عن عصر جديد من عصور الهايكو بلمسات سعودية، وسحرية عربية تحسن تدليل النصوص وملاعبة الخيال، ولكن بين يدي مهارة القيسي وتشربه لهذا الفن فلن أكون الشخص المناسب للحديث عن فن؛ جعلني طرح القيسي أتصور أنني قد كتبته في مرحلة من المراحل من خلال ما كان منتشرا في فترة ماضية من تنافس لكتابة نثر إبداعي أو شعر يعبر عن صورة مختارة، ولكن عند قراءتي للنماذج المختارة لرائدة فن الهايكو الخليجي ولكتابات القيسي وعبدالله أحمد الأسمري، وآخرين فضلت ألا أغامر وأن أحتفظ بطموحاتي في مكان قصي مع نفسي.

المشهدية، والآنية، والمنطقية، والتنحي، والتكثيف؛ عناصر تشكل أجناس عربية حديثة وقديمة، ولكنها تأتي في فن الهايكو بمنظور مختلف استطاع القيسي أن يأتي بأمثلة ناصعة دالة عليها من خلال نصوص الدكتورة خيرية، ومن خلال شرحه لهذه التركيبة الفنية الذوقية مع عدم نفينا التام لوجود مناطق تماس مع فنون الوجيز العربي المختلفة، والتي أصبحت بالمناسبة اسم لمشروع ثقافي –الوجيز- تبناه القيسي ويوسف العنزي وأعلنا عنه في الأيام القريبة الماضية.

ولا بد قبل أن نضع نقطة آخر السطر أن نرسل عبارات الشكر للإعلامي القدير عبدالله وافيه والذي كان له فضل التقاط الفكرة وتصديرها - كما جاء على لسان المؤلف في المتن - لمن أحسن تقدير قيمتها، وناولنا تعريفا مقتضبا بفن الهايكو، وقدم لنا فكرة عامة هامة عن رائدة سعودية، وأخرج لنا درر من الهايكو مما كتبته الدكتورة خيرية السقاف:

أعبى محبرتي
في القطار
حيث الجداول تتدفق
...
ضجة السكوت
جعلتني
أدق في الحائط مسمارا
...
الراعي في البيداء
يهش بعصاه على
الحنين
...
في الجدار ثقب
لعله لمسمار سقط
مع الريح
...
في الرماد قصاصة
لم تحترق
...
نقطة آخر السطر
هي التي وعدتكم
بوضعها!

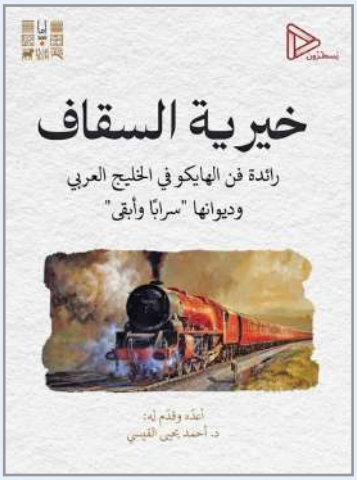

وإلا فإن الحديث بيني وبين كتاب (خيرية السقاف. رائدة فن الهايكو في الخليج العربي وديوانها "سرابًا وأبقى") الصادر عن النادي الأدبي الثقافي بنجران، ودار يسطرون للنشر في طبعته الأولى 1445هـ والذي أعده وقدم له د. أحمد يحيى القيسي ما زال ما ثلا أمامي بروحه ونصوصه الحية.. نقطة أخرى آخر السطر

شرفة النقد

الديوان الجديد لـ "محمد ابراهيم يعقوب"..

نهرٌ يسقي الأسماء.. نيزك يهز العالم!

عبداللطيف بن يوسف*

ذلك النيزك الشعري الذي جاء به محمد ابراهيم يعقوب، تناثرت شظاياه كفسيفساء شعرية في كل اتجاه لتخلق آلاف القصائد، جمع يعقوب نصوصه كما يجمع العارف خرائط الوجود، يرصفها بوعي رؤيوي لتغدو صورةً كاملةً للعالم بكل جماله ودماره، بألمه ودهشته.

هذا الديوان مذهل وصادم، وأقول ذلك بطمأنينة القارئ لا بصرامة الناقد الذي تقيّده النظريات، ديوان مذهل لأن يعقوب فيه يواجه ذاته كما يواجه العالم: يقف على الحافة، يرى الخراب بعينٍ مفتوحةٍ على الحقيقة، ويقول " الأمر تمامًا أكثر تعقيدًا من ذلك"، تلك الذات القادرة على إعطاء العالم ظهرها وهي تقول: "ليس يعنيني كثيرًا" .. " والذي لم يعد لم يعد!"، ويتصالح مع قلق المجهول بـ" ما لم يقل -غالبا- جارحٌ أو تأخر عن وقتهِ" وعن ثقةٍ يقر: "لم أكن أهذي تمامًا.. مسّني الشعرُ فكنتُ".. وكيف حدث هذا؟ "رمتني امرأةٌ بالسهم الأول فانهال العالم"، ويستدرك: " نقطة الضعف أن الحياة بديهيةٌ".

يُقال إن المعاناة هي جزء لا مفرّ منه في الوجود، لكن ما يُميّز الإنسان هو كيف يتعامل معها: أن يظلّ يُعطي المعنى، رغم أن هذا التعاطي قد يضعه في عزلة وهي ليست خلوًا مؤلمًا فحسب، بل فضاءً للتفكّر.

يعقوب هنا يفكر ويرى ويشهد، ويخلق أفقًا جديدًا لعالم من اقتراحه، يعيد تعريف كل شيء من جديد

"العلاقاتُ رميةُ نردٍ
مكافأةٌ ليس في وسعنا ردها"
"الشارع شخاذٌ محترفٌ"
"العمّال هدايا اللّه"
"العارفون انحيازٌ إلى اللانهائي"
" الحنين مثنّى"
"تفاحة آدم فنٌ شعبيٌ"
"اللذة تنويمٌ مغناطيسي"
"العادات السيئة: تحققنا الإنساني"
الضعف وثيقة حدسٍ"

إلى آخره من إعادة تعريف كل شيء، حيث يبدأ نصه بهذا التمهيد للقارئ:

"حدوث العالم شأنٌ شخصيٌ جدًا
لن تحصى الأضرار النفسية للخيبات الأولى
أعرف أن الكلمات تعيش طويلًا
وأريدُ كتابةَ شيءٍ ما"

عالم يعقوب لا يقول ان الحياة خالية من المكابدة المرهقة بل علينا أن

نتخيل لنحيا، أو كما قال كاموا: " علينا أن نتخيل سيزيف سعيدًا"، فكما يرى: " قد يطول الوقوف بلا فائدةٍ كأنْ نتمهّل في الشعر" ويعترف:

" أوشك أن أحدثَ
سمّتني أمي نور اللّه
أبي لم يهجس
لم أملك كتفًا كي أتمرد
جاريت العالم عبثًيا
في جيبي سخطٌ لا أحتاجُ إليه"

يحاول يعقوب أن يجعل للشعر عملًا ما، في هذا العالم، أن يخلق عالمه الخاص ولا يقف عند مقولة هولدرين: "لماذا الشعراء في الزمن الرديء". ليس متفائلا حد أن ينثر الورود في كل مكان، ولا عدميًا يغلق الآفاق، بل هو على طريقة الرواقيين: "إننا لا نمتعض من المصائب لأنها قاسية، بل هي قاسية لأننا نمتعض منها".

ختامًا في كل نصٍ مهم أشعر كقارئ إما بأثر الماء أو أثر النار، وفي نص محمد إبراهيم يعقوب، اجتمعا معًا: نهرٌ يروي الذاكرة، ويمنح الأسماء نضارتها الأولى، ونيزكٌ يهزّ العالم ليذكّرنا بأن الخلق لا يتمّ إلا من الرماد.

هكذا رأيت ديوانه الأخير، لا ككتاب يُقرأ، بل كحدثٍ كونيٍّ صغيرٍ يُعيد ترتيب الوجود على مهلٍ، بيتًا بعد بيت، معنى بعد معنى.

*شاعر

مقـــال

رسالة إلى صديقي الروائي

د. أحمد اللهيب

... فإنّي رأيتكَ قد عزمتَ أن تركبَ مركب العمل الروائي، وتزعم أنّك آثرتني دون غيري بالعلم بذلك، وأنك رغبتَ أن تجد عندي من النّصح ما يستقيم به أودُ ما تكتبُ وأن تضعَ فيه لبناتٍ ذات قوامٍ مستقيم وبُنيان راسخ؛ ليكون كما تحبّ أن يكون بناءً مكتمل الأعضاء سليم التكوين تنبسط له العين، وتأنس به الروح، ويرعى فيه العقل، ويطيب به القلب. والحقّ – يا صديقي- أنّ بضاعتي في الرواية مزجاة، وأني لا أجد في نفسي ما يشفع لي أن أقدم لك ما تصبو إليه، وإن كنت قدّرتني أعلى من قدْري في ذلك، فهو حُسن ظنّ منك، وجميل لا يُنسى، وتقدير لا يُمحى، وعسى أن تلقى في هذه الرسالة ما يكون صوىً في طريقك وعلاماتٍ في سبيلك، فإن حمدت ما فيها ودلّتك إلى المبتغى، فهذا ما أروم وأقصد، فاحمد الله ولا تبالغْ في شكري، وإن كانت دون ما تأمّل، فهذا قصور منّي وهو جَهدي ومنتهى قصدي، فاحمدِ الله واقبل عذري؛ لأني لم أكن لأبلغ أعلى من ذلك، والنفس تؤول إلى النقص، والعقل يرجع إلى العجز.

أيها الصديق، إنّك أعلم مني، وأنت صاحبُ فضلٍ، بأنّ العمل الروائي إنّما هو جهد عقلٍ وموهبةُ قلم، فإن هما اجتمعا لنفس صبورة وفكرة عميقة، أنتجا عملاً روائيًا، أحسبه أن يكون خالدًا، فالعمل الروائي إنما هو سرد ووصف، وهو محتاج إلى لغة تنهل من معين لا ينضب، ومن أساليب من بحر زاخر، ومن وصف يكشف تفاصيل النفس، وأُحجيات الخواطر، وما تكنّه القلوب، ومن سردٍ يخلبُ العقل، ويسهبُ في الأحداث، ويجنحُ إلى هزّ المشاعر والتأثير فيها، وهذا لا يتأتى لمن أراد أن يكتب عملاً روائيًا إلا بعد جهد جهيد، ومن هنا فإني أضع بين يديك ما أحسب أنها منارات هداية وآثار أقدام، لعلها أن تقربك إلى ما تريد، واثقًا من أنك تملك منها شيئًا كثيرا، ولكنّي أحببتُ أن أكتبها لك؛ لتكون رسالة حقيقةَ التأمّلِ بين الفينة والأخرى، وأن تستريح إليها؛ لتكون محفزًا لك في هذا العمل الذي عزمت عليه.

وأولى هذا الصوى، أن تقرأ في كتب التراث قراءة متمعنة وأخصّ بذلك مقامات الهمذاني وما شابهها مما يجمع بين السرد والوصف واللغة، فإنّي وجدت في كتب التراث ملاذا لطالب اللغة، ومتجرًا لا يخسر من أساليب الكلام، ومخزونًا لا ينفد من صيغ القول، وهذا ركيزة أساسيّة لكل كاتب، يجد في نفسه الرغبة في تنمية مهاراته وبلوغ غاياته، فالقراءة في كتب التراث إنّما هي الخطوة اللازمة؛ ليتمكنَ الكاتب من اقتحام حسن الصياغة وجمال الأسلوب، وأن ينال بذلك مبلغًا لا يقصر دونه في محاسن القول وجماليات العبارة. فإذا انتهيت من كتب التراث، فعليك بكتب الرواد في العصر الحديث، ممن عرف عنهم ما سبق من قول، مثل طه حسن والعقاد، والزيات، ومحمود شاكر والرافعي والمنفلوطي وغيرهم. فهؤلاء الرواد جمعوا لك قراءة التراث والفكر الحديث، وأبحروا فيهما وعيًا وفهمًا، وأتقنوا الأساليب المتنوعة في تراثنا، فحقيق بك أن تغوص في أعماق ما كتبوا لتنهل مما نهلوا.

أما الثانية، فإن الروائي لا يعزم الكتابة ولا يجزم أن يقتحم هذا الفنّ إلا بعد أن يقرأ في الروايات الغربيّة، فإن قرأها بلغتها فهذا الغاية وإليه المقصد، وإن قرأها مترجمة فالعقل في انتقاء خيرة المترجمين ومَن يُشهد لهم بحسن الترجمة وسلامة الأسلوب. فالقراءة في الروايات الغربيّة، يمنح العقل دقائق من التفاصيل ويحلل النفوس ويجوب أفق الغايات الخافية، ويفتح مجاهل غائبة في تحليل الشخصيات وإبراز المواقف وكشف المعاني في الأحداث، وطريقة السرد، ودقة الوصف.

أما الثالثة، فإن البحث عن تفاصيل المجتمع لا يكون إلا في تأمل حركة الناس، والوقوف على تصرفاتهم والبحث عن أفكارهم والدخول معهم في نقاشات وحوارات، والقرب من أماكن وجودهم الدائم في صالات الانتظار، والمقاهي، والأسواق، وإشارات المرور، والأماكن الشعبية، والحدائق وغيرها، فهذه الأماكن تدعو الكاتب إلى تأمل الأفعال وتبيّن المشاعر وكشف الطباع والوصول إلى معنى المعاشرة والتعايش في رسم الشخصيات وأفعالها وأخلاقها وصفاتها.

أما الرابعة الأخيرة، فإني وجدت التعايش الدائم والمعاشرة المستمرة مع العمل المقصود، وهو هنا كتابة رواية، هو السبب الرئيس للإنجاز، والخلوص إلى غاية يقصدها الكاتب، فالتعايش بكل ما تعنيه هذه الكلمة، هو أن يكون هذا العمل الروائي الذي تزعم أن تكتبه معك في ليلك ونهارك وفي يقظتك وسباتك، وفي حديثك مع نفسك ومع غيرك، وأن يأكل من عقلك شيئا فشيئا، وأن يستريح بين ضلوعك ليل نهار، وأن ينفذ إلى قلبك ليكون أقرب منه إليك.

وبعد ذلك، فلا عجب إن قلت لك: إنّ من أراد كتابة رواية واحدة فعليه أن يقرأ مائة رواية من ثقافات شتى ومن عوالم مختلفة ومن مدارس مختلفة، ليكون بذلك خبيرا في أساليبها وطرق كتابتها، وتنوع شخصياتها، وتعدد أماكنها، وتحول أزمنتها، وتشكل أحداثها، وعمق عُقدها وتشابك حبكتها، وخلوصها إلى نتائج متنوعة، وغير ذلك مما هو من أدوات الرواية ومكوناتها وتفاصيلها.

وأخيرًا يا صديقي، لا أزعم أنّي محضت لك كلّ ما أريد، ولكن حسبي أني كتبت لك ما أجد فيه من غايات البلوغ ما يكون مفتاحا لغيره، وأن تكون هذه الوقفات إنما هي علامات ترقمُ بها ما تنوي عليه، وحسبي – مرة أخرى – أني اجتهدت ومحضتك النصح، فإنّ وجدت في هذا القول ما يشفع له أن يبقى لديك فهذا هو المراد والمقصد، وإن وجدته دون ما تأمل – وهو إلى ذلك أقرب- فاغفر لي زلة قلمي وقصور عقلي وجنوحي إلى غير ما تريد.

ولك خالص ودّي ومحبتي.

ما يشبه البيت

الخروج إلى البيت.

نجوى العتيبي

ثمة كتب يتلقَّفها المرءُ وأخرى تتلقَّفه، ورحلات يأخذها وأخرى تأخذه، ولعلها أزمة متعلِّقة بالوجود. هذا ما أتى في بالي وأنا أقرأ على الشاطئ؛ إذ أخذني كالفينو في سفر زمني إلى شتاء بعيد...

قهوتي المفضلة هيَّأت الجو حتى توهمتُ شعوري بالدفء، تظل للجين العربي سطوته رغم الحرارة والرطوبة؛ إذ يميل إلى الحرارة مهما راقبَ الأنواء، ولو لم تكن موجودة لاخترعها.

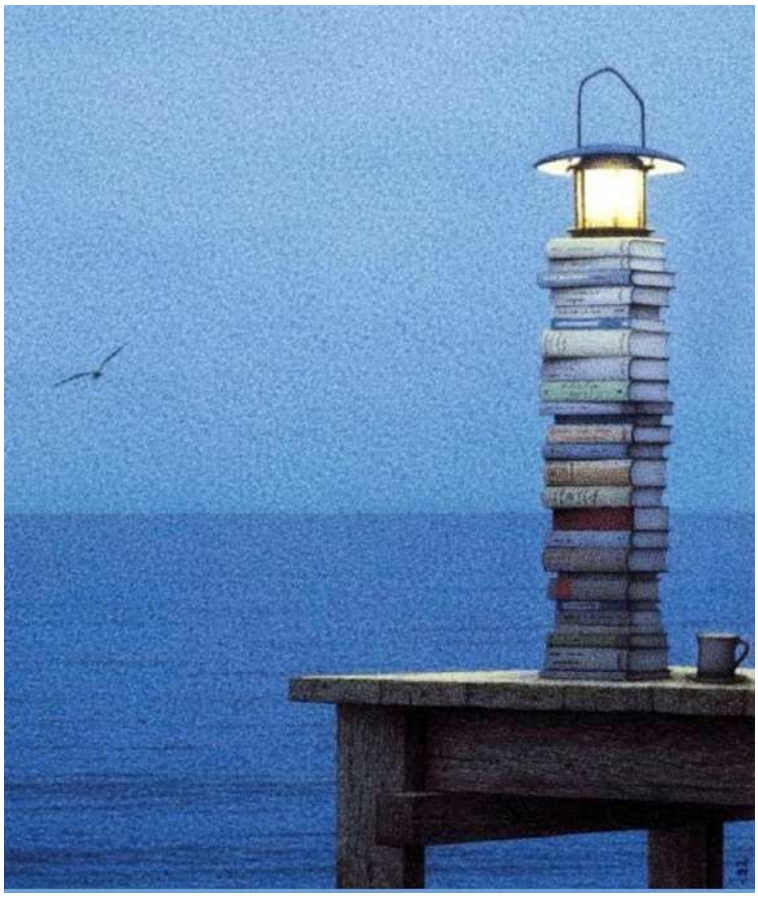

اكتشافُ النار يليق بالعربي أكثر من غيره، فهي أمامه دائما، يراها في الشمس ويحس بها في دمه، والآخرون الذين اهتدوا إليها قد فرحوا بمعرفتهم لها حتى عدّوها اكتشافا... ويا لبؤسهم حين عبدوها!

أما العربي فطموحه أعلى. يعرف العربي من يستحق العبادة حدَّ الهداية بكتاب واحد فقط. وهي حاجةٌ تناسب طبعه، ومبلغ ارتوائهِ لا يرضيه شيء كذلك الكتاب حتى خُتمت الأديان بما جاءه، فقُطِع بذلك الكتاب شحُّ الأنبياء من بعده... لا أنبياء معاصرون، انتهى العظماء بآخر عظيمٍ كان الأول والخاتم عليه الصلاة والسلام... لكن هذا الحر ما زال غريبا، من يتنفّسه بهذه القسوة سوى النار؟ لعل الناس يتقاتلون أكثر بسببه... مع أنهم يتقاتلون لقرون بحثا عن نبيّ!، ولو خرج لاقتتلوا أيضا، لا حلَّ مع تناقضات البشر؛ إذ يعيش عدوّهم بينهم وفيهم ومن دونهم أيضا.

أتذكّر ذلك وأنا أهيم بفكرة البلاغة، وكيف كانت كثافة ما يقوله الأنبياء رغم قلّته، مقابل ما أقرأه لهذا المتفاصح السيد كالفينو، إنه يقول كثيرا مما تغني عنه البلاغةُ، وكم يزعجني ذلك.

تأملات شتى تثيرها الرحلة؛ عن جدوى الخروج من البيت، أو البحث عنه في الخارج! حتى وإن التهمني الحرُّ، أو حيلّ الكتابة... أو تلك الحروب والدماء وحرارة الطقس وجوّ القهوة، كل ذلك وأنا جالسة في مكاني حتى قُطعتْ عليّ رحلتي...

لقد قطع علينا الرحلة مستر سلطع، سرطان البحر الشهير في إحدى المسلسلات الكرتونية. ما زال على مشيته التجانبيّة، يتقرَّبُ لمن يبتعد، ويهرب عمن يروم اقترابا، كأنه نصُّ كالفينو، أو جهده على النص...

قلت له: «سبحان من هيأ لكل مخلوق طبعه»...

تجمّدَ قليلا كأنه يراجع نفسه، ثم انطلقَ لطبعِهِ بلا فائدة...

لا ألومه، فللمخلوقات عباداتها...

عندما هرب إلى صخرته؛ أدركتُ أنّ له فيها صغارا، فالكائن الخائف يدلُّ بنفسه على مكامن خوفه، بل يفوح برائحة الخوف بيته، كتلك الصخرة المثقوبة بضرب الماء. شقوقها تذكرني بالنوافذ رغم تضليل الطحالب والعوالق. لعلَّ هذا ما كان يفعله كالفينو وهو يهرب في النص الذي شتَّتَني... أو أنَّ روحه سكنَت في نصّ يشبهها.

قلت له مجددا: «سبحان من هيَّأَ لكلٍ طبعه»، ولم يكترث إلا حين وضعتُ كتابي في الحقيبة وحملت الكرسي تجاه الصخرة، وعلى السيد كالفينو الانتظار بناء على نصّه...

شعَرَ مستر سلطع بالتهديد وهو يراني واضعةً قدميّ في الماء، منتظرة منه ما يعضد تخميني. ظللتُ أرقب صخرته حتى خرج صغيرُ متمرد، ثم تلاه آخر، وحين اقتربتُ منهما لألتقط صورةً؛ اختفيا في جزء من الثانية فعدتُ لمرقبي... لم أحسب أنهما سريعان إلى هذه الدرجة. لقد أورثهما الكبيرُ حذرَه ففوَّتا كثيرا من الرحلات والأصدقاء...

واظبَ مستر سلطع على خططه الفاشلة في الاقتراب مني، كان يسن سلاحه، وياله من سلاح، قرصة يجهر بها بكلتا يديه، وذات سُمّيّة متواضعة. يا للقوة الهيّنة!

استمرّ بمباغتتي، وواظبتُ على إخافته ليبتعد، يحاول قلب الطاولة لآخذ موقف الدفاع فأهرب، وأنا أبادله المنطق حتى فرّق بيننا الغروب... أعلم جيدا كم يكون الظلام في صفّ من يُفضّل استغلاله. فللخفاء حكمته وأنصاره.

تراجعتُ كثيرا، ذهبتُ إلى منطقة جافة، ارتديتُ حذائي، وهيأت الجو مجددا، وحينها بردت القهوة... وأي طعم يبقى لشيء بارد؟

حرارة الأشياء جزء من حياتها... هذا ما فقدتهُ في عمل كالفينو؛ الرواية المؤجلة بناء على دروس في الكتابة. ويالها من فكرة مملة لتدور داخل رواية.

هل يحتاج الكاتب الجيد لذلك؟ لا أعلم، ربما لا يكتبُ من أرادَ الكتابة، بل من ضاقت به الأشياءُ ودفعته بنفسها إلى الكتابة. لعلَّ الضيقَ دافعٌ أوَّل لارتكابها لا الدروس ولا الترف وادعاءات التهيئة. أخبرتني بذلك الحرارةُ في دمي، فالبرودة لا تُحيي شيئا بل توقِفُ حياته. ويا لها من فكرة! نعم... تبدو البرودةُ مقاومة الأشياء لإيقاف الزمن. ولو قاطعَنا مستر سلطع لأيَّدَني، سيقول بأنّ الكتابة مشية خاصة لا تُلقَّن، وأنّه يفضّل القرب من الماء ليتلاعب بالزمن عبر استجلاب برودة جزئية، سيفصِحُ عن ذلك ببلاغة تشبه جهرَهُ بقرصته، ثم يمشي بشكلٍ تجانبيٍّ ويدخل صخرته وهو يضحك. الضحك انتصارٌ للوجود على الزمن.

عندما أخرجتُ السيد كالفينو مرة أخرى؛ صار الظلام يخون القراءة. الظلام برودة أخرى لو فكَّرنا بذلك. لعل كالفينو سيغضب مني، أو ربما يبتهج لما أثاره بي من أفكار، أو سيبحث عن كتابي الذي أُرسل إلى قومي ليعرفَ جوهر الرحلة في هذه الحياة؛ فلي غروري أنا أيضا؛ فليس كل ما تتلقّفه يدي يعجبني، حتى تركتهم معا: الكرسي والكتاب والقهوة الباردة، وعدتُ برحلتي كاملةً إلى البيت.

«إننا لا نفقد حقا ما نحتاج إليه»... قالها مستر سلطع، ثم دخل صخرته وهو يضحك. وكانت كلماته أكثر ما سمعتُهُ حكمةً منذ خريفين، لا الكتب ولا رحلاتي اللاحقة أو تأملاتي، بل كلماته وحدها.

أن نقرأ ما نحب ونحب ما نقرأ

تحليق

فوزية الشنبري

تهافت مقولات النقد الأدبي وتهشيم بنيان الخيال الجماعي وترحيل الجهد السردي بالترهيب والشدة إلى عوالم النظريات والجدران البنيوية والتفكيكية - بغض النظر عن انني فهمتها أم لم أستطع الإحاطة بها علمًا إلى اليوم - أوقفت التاريخ الإبداعي وهِبة إلتقاط الجماليات من النصوص وحرفة البحث عن الجمل الذهبية التي تسلب القارئ وربما نعود للكتاب كل مرة من أجلها فقط ،أوقفتها عند لحظة زرعت التوحش والعنف في المقروء.

نكبة النقد هذه وكثرة الإفتاء، تكشف رغبة هؤلاء في الإيفاء بوظائفهم كمشتغلين في الأدب أو الصحافة أو ما يسمى بالثقافة عبر الكتابة العنيفة الخالية من الحس الإنساني والرؤية الإبداعية بزعم انحيازهم لقيم وهمية وشخصية وللوهم النخبوي. واللافت للنظر هو تكاثر هذه الفئة وازدياد المؤيدين الخائفين(أن تطال إبداعاتهم موجة النقد هذه) من الجمهور أو المتابعين.

ما كان لهذه الشظايا أن تصيب أهدافها لولا احساسهم العميق بأنهم متفوقون ولهم أتباع يشبهونهم في التفكير. ولولا تأزم حالة الكتابة والنشاط الثقافي في المنطقة كما يزعمون.

منذ بداية الحكاية، هناك في كل سوق الصالح والرديء لكنها مسألة ذوقية، في كل الأحوال ما لم يعجبك دعه في دفاتره وأكتب باستفاضة وبشكل يومي كما تفعل الآن عما أحببته. لكن أن يكون كل المكتوب عن الرديء فهذا وضع سيء للغاية. والموهوم بهذه المَلَكة (العين الناقدة) يظن أنه الأذكى والأبرع والأهم، حين يبرز مساوئ الأعمال فقط ولا يرى أي حسنة في كل الفضاءات الأدبية عدا ما يقوله هو.

وهذا ما جعل الكتابة حربا على حرب والإبداع حصرا على الكبار والموالين لأصحاب العين هذه والتي ضيقت علينا منافذ الجمال واقفلت أبواب المتعة. رؤية الجمال هبة لا يمتلكها كل القراء.

نقاشات

حكايات الزفات في التسعينات وما قبلها..

ليالي الزفة.. بين الطيران والشموع.

أمل الحسين

كانت الزفة دائماً لحظة الفرح الكبرى، المشهد الأبرز في ليلة الزفاف، واللحظة التي تتوجه فيها العيون كلها نحو العروس، تختلف الطقوس من أسرة إلى أخرى، لكنها في النهاية تلتقي عند شيء واحد، أن الزفة للعروس لتزيد وهجها وسط الحفل، كانت تزف وكأنها داخل موكب، يحيط به أصوات الطيران الهادئة التي تنسجم مع خطواتها البطيئة، حيث يتم الطرق على طار (المرد و المصقاع) من اربع أو خمس من عضوات الفرقة المغنية، وإن كان المصقاع يحضر هنا بشكل إعلان فرح وليس كما يستخدم مثلاً في الايقاع الدوسري الذي يعتبر عنصر أساسي، حيث يميل الطق إلى ما يسمى باللون الكويتي الهادئ، ومع مرور الوقت بدأت بعض الفرق تضيف الطبلة في الزفة لتعطي للصوت مساحة أوسع وأقوى، وهناك عدد قليل جداً من الصور انتشرت في الانترنت لهذه الزفة في الثمانينات الميلادية .

عندما أكتب عن هذه المظاهر فإنني لا أقصد جميع مناطق المملكة العربية السعودية، فلكل منطقة طقوسها ومظاهرها، لكن حديثي هنا عن الرياض كما عرفتها، من الذكريات التي بقيت عالقة في ذهني، لاسيما أن كثير من الأسر مازالت تحتفظ علاوة على صور حفلات الزفاف، أفلام فيديو توثق هذه الليالي، وفي الغالب تكون الأفلام المقاس الكبير JVC وهو ما كان يسمى بالعامية الشريط الكبير، وكان هو الأكثر انتشارًا في الثمانينات والتسعينات، وبعده جاء الشريط الصغير وهو SONY وهو أصغر حجماً من JVC .

من الفقرات المهمة جداً في ليلة الزفاف وقد تساوي في أهميتها أو أقل منها بدرجة، وجود الطفلات حاملات الشموع، كانت تلك الفعالية أجمل ما يمكن أن تحظى به طفلة، وقد حظيت به أنا شخصيًا أكثر من مرة في زواجات قريباتي، كان الكبار يحرصون علينا حرصاً مبالغاً حتى قد تعكر أمزجتنا لولا أن إغراء حمل الشمعة والسير مع العروس أقوى من أي ضغط أو تهديد، مما يجعلنا نقسم ونحلف بالإيمان أن ننتبه ونحذر ونمسك الشمعة جيداً حتى لا تميل أو تسقط، أظن أن تلك الشموع كانت تباع في سوق السويقة الشهير، أو في سوق المتنبي الذي كان لا يقل عنه شهرة، بل ربما كان يتفوق عليه في بعض الأحيان.

كانت الطفلات يسرن مع العروس بنفس خطواتها البطيئة الخجولة وهن يحملن الشموع، وبعضهن يحملن سلال الورد لرميها على العروس حتى تصل إلى الكوشة، والكوشة كلمة قديمة لم تتغير مع مرور الزمن، ظلّت كما هي في كل المناطق، وربما في كل الدول العربية

الامتياز المضاعف للطفلات فوق تسليط الضوء عليهن كونهن رفيقات العروس، أن الفساتين تعكس هذه المكانة، فهي إما أن تكون مثل موديل فستان العروس، أو موديل مختلف ولكن شريطة أن تكون بيضاء أو وردية، وهذا يعني أن الطفلة تغير أكثر من فستان في الليلة الواحدة، ورغم الألم الخفيف والمتواصل الذي يسببه احتكاك النفاش الخشن الذي يُلبس تحت الفستان لأجساد الطفلات إلا أنه يتم تجاهله أو تحمله في سبيل إكمال المظهر البهي ؛ و مسألة تغيير الفساتين لم تكن مقصورة على الأطفال فقط، بل كانت بعض أفراد أسرة العروس يبدلن فساتينهن بعد العشاء الذي يأتي بعد الزفة، وقد كانت هذه الظاهرة أكثر وضوحاً في الأعراس التي تمتد حتى الصباح، وأقصد بالصباح الساعة السابعة أو الثامنة أو حتى التاسعة صباحًا.

ولم يكن الأمر حكراً على أهل العروس، بل كان يعتمد في بعض الأحيان على من يتحمل تكاليف القاعة، إذ يمنحه ذلك

حرية استخدام الغرف والمرافق، وفي بعض الأعراس كان استئجار القاعة يتم مناصفة بين الأسرتين، فيتقاسم الجميع المرافق براحة، أو أن كانت ترتبط الأسرتين بروابط قرابة أو صداقة.
وبعد دخول العروس على وقع الطبول الناعمة، تبدأ فقرة الأغاني الخاصة بها، ما زالت كلمات بعضها تتردد في ذاكرتي:
"لا لا يا أم العروسة
الله يتمم هناكي
لا لا ليلة سعيدة
والحبايب معاكي."
وأغنية أخرى تقول:

"جينا نبارك محبة
تمخطري حبة حبة
عروسة حلوة وزينة
عريسها أحلى وأحلى"
وكانت أيضًا تُغنى:
"ألا يا عباد الله قولوا مبارك."
في هذه اللحظة قد ينتهي دور الأطفال عند جلوس العروس على الكوشة، وقد يستمر حتى دخول العريس، الذي كان يُستقبل غالباً بأغنية:
"يا مرحبا بالمقبلين واللي حضر والغايبين."
ثم تبدأ اللحظة الذهبية التي لا تُنسى: لحظة رفع العريس للطرحة الخفيفة عن وجه العروس، مشهد أقرب إلى فيلم رومانسي، وكأننا أمام محمود ياسين ونجلاء فتحي، شاشة السينما وقد تحولت إلى واقع حي أمامنا، يتبع ذلك مشهد تبادل العصير، كل منهما يسقي الآخر، وسط قلق واضح من أن ينسكب شيء على فستان العروس وهو ما كان يُسمى شرعه، فالفستان أهم من ثوب ومشلح العريس، فالمشلح إن اتسخ يمكن تغييره بسهولة، أما فستان الزفاف فقد استغرق شهوراً من البحث عن خياط بارع وضبط المقاسات والتفاصيل، ففي تلك الفترة لم تكن المشاغل النسائية منتشرة أو تحظى بالثقة، على عكس الخياطين الذين اشتهر بعضهم وذاع صيتهم، وكان أشهرهم ربما في شارع العصارات قرب كبري الشميسي، الذي أشيع عن أحدهم أنه هو من يخيط بعض فساتين الفنانة عتاب .

صورة متداولة في الأنترنت

بعد دخول العريس تنتهي مهمة الأطفال، وكما استُقبلت العروس بالطبول والأغاني، تُودّع هي والعريس بأغنية خاصة:
"مع السلامة يا العروس
يحفظك الله يا العريس."
وبرغم أن طقوس الأعراس تبدلت بشكل جذري منذ عقدين تقريباً، إلا أن بعض هذه المظاهر عادت إلى الواجهة، لاسيما في المنطقة الغربية، حيث عادت زفة الطبول برفقة النساء، وكأن الزمن يعيد شيئًا من روحه القديمة.
تلك الزفات لم تكن مجرد طقوس للفرح، بل ليلة تجتمع فيها العائلة والطفلات والطبول والأغاني لتصنع ذكرى وردية وزاهية، كانت الشموع، والطرحة، وفستان العروس، وأصوات الطيران، كلها تفاصيل صغيرة لكنها حملت في جوهرها معنى الفرح والبهجة، واليوم، حتى وإن تبدلت الطقوس وتغيرت القاعات، تبقى تلك اللحظات محفورة في الذاكرة، تلمع مثل الشمعة التي حملناها يوماً بأيدينا الصغيرة.

* رفع العريس لطرحة العروس كأنها مشهد من فيلم رومانسي

* أجمل ما يمكن أن تحظى به الطفلة ليلة الفرح هو حمل الشموع

* فستان العروس أهم من ثوب العريس ومشلحه

* الخياطون كانوا يحظون بثقة المجتمع وأحدهم كان يخيط فساتين "عتاب"

* زفة الطبول برفقة النساء عادت إلى الواجهة من جديد

نقاشات

ما لا يمكن ترجمته فلسفياً في الشعور..

عن الضياع في الترجمة والتظاهر بالتعدد اللغوي.

مريم المساوي*

الترجمة مجال يعكس أعمق أشكال الاحتكاك بين اللغات والثقافات, لأن النص حين ينتقل من لسان إلى آخر يدخل في فضاء جديد يغير إيقاعه وبنيته ومعناه وهذه الحركة تفكك المفردات من خلال الشعور الثقافي الاجتماعي و تكشف عن صراع بين ذاكرة النص الأصلية ومتطلبات اللغة التي تستقبله, في هذا الصراع يتكون إدراك مختلف للغة نفسها حيث تتجلى حدودها وقدرتها على احتواء فكر يتشكل في مصدرها الأول و لأن التعدد اللغوي يفتح بدوره مجالاً واسعاً لتعدد الأصوات ويعمق المشهد اللغوي, فالنص الذي يجمع أكثر من لسان يتحول إلى مساحة تداخل وتنتج معاني إضافية وتكشف عن طاقة جديدة للكتابة, و هذا الامتداد يجعل الترجمة والتعدد معاً عنصرين أساسيين في تشكيل الوعي المعاصر باللغة وعمق الفلسفة الإثنية للكلام الخام وفي توسيع قدرتها على إنتاج معرفة تتجاوز حدودها الأولى, وحين ندرك أن اللغة وعاء للمعرفة وامتداد للتاريخ فكل كلمة تتشكل داخل بيئتها الثقافية, وتحمل أثر العادات والرموز والمجازات التي صاغتها حين تنتقل عبر الترجمة إلى لغة أخرى تفقد جزء من طاقتها الأولى، وتظهر داخل بناء جديد يختلف في الصوت والإيقاع والمصدر.

الترجمة الفلسفية تكشف هذا الاختلاف بشكل مباشر فمثلا عند هايدغر الشعور اللغوي يمثل شبكة كاملة من العلاقات الفكرية التي نسجتها الثقافة الألمانية من خلال ارتباطه بكلمة محورية منشقة من الشعور الكلامي الخاص جداً لمصطلح (dasei) وكونها في العربية تستقر في كلمة (كينونة) هنا يتحول المصطلح إلى علامة معجمية محدودة الطاقة من الأصل وفقدت جوهر الإرث اللغوي، لأن النص في أصله مشروع متكامل لكن النسخة المترجمة تقدم طبقة سطحية منه والأدب يقدم صورة أخرى لهذه الفجوة.

قصيدة إليوت الأرض اليباب عندما تُرجمت إلى العربية لم تحتفظ إلا بجزء من بنيتها الشعورية لكون الإيقاع الذي صنع التجربة الأصلية غاب عن النص المترجم والرموز الأسطورية ظهرت مبتورة، فكان القارئ في العربية يواجه أثراً شعرياً مختلف لا يطابق التجربة التي عاشها القارئ الإنجليزي، وهذا الإشكال ظهر بشكل كبير في الترجمات العربية الأولى لروايات دوستويفسكي حيث واجهت تحدياً مشابهاً تحولت فيه الشخصيات ذات الأبعاد النفسية المعقدة إلى شخوص مسطحة بسبب ضياع التفاصيل الدقيقة التي صاغها النص الروسي للطبقة الشعورية بين الباردة والعميقة جداً والتي تظهر بشكل جلي على سلوك المواطن الروسي من خلال هذه الطبيعة الغرائبية المتجمدة ظاهرياً وذات عوالم فضفاضة من التجربة الإنسانية الفريدة من نوعها .

من هذا الفراغ ظهرت ممارسة جديدة تتجلى في (التظاهر بالتعدد اللغوي) داخل الخطاب اليومي في أشكال التواصل المترجم، إذا يتعمد كثير من المستخدمين إدخال كلمات أجنبية في النص العربي ليبدو النص أكثر انفتاحاً وتقارباً, والنتيجة خطاب هجين لا يكتمل في أي من اللغتين ويمنح القارئ صورة عن التباس أكثر مما يمنحه وضوحاً متكامل، ولم ينجو الخطاب الأكاديمي العربي والذي شهد هذه الظاهرة نفسها في بحوث العلوم الإنسانية أجمع ، فكثير من النصوص كانت ذات ابعاد غريبة للقارئ ولم يلمسها القارئ كما لو كانت نسخة مشوهة للمعلومة, حين تدرج كلمات مثل (Identity) داخل جملة عربية دون أي دمج حقيقي فالقارئ يجد أمامه نصاً يميل إلى الاستعراض المصفوف أكثر من البناء المعرفي الممنهج لأن المفردة الأجنبية تبقى جسداً غريباً داخل النص وتفقد القدرة على التفاعل مع السياق العربي, والشعر العربي الحديث لم يكن بعيداً عن هذه الممارسات لأن بعض الشعراء أدخلوا مقاطع فرنسية أو إنجليزية في قصائدهم لتأكيد حداثة الشكل, والنتيجة أن القصيدة فقدت انسجامها الداخلي وتحولت اللغة الثانية إلى عنصر زخرفة ولا يضيف إلى التجربة الشعرية الا شكل مشوه للشعور للقارئ مع النص, وهذا ما يعمل به خلايا الدماغ في معنى الفقد كترجمة لحظية حين يُفقد الارتباط العصبي شعورياً بين الفكرة الحاضرة والشعور بها .

هناك نصوص ومفاهيم تنغلق داخل لغتها الأصلية وتقاوم الانتقال إلى لغة أخرى والكلمة في هذه الحالة تحمل فرادة تاريخية طويلة

من المشاعر والرموز التي يصعب اختزالها في نمط معين، وحين نصور كمثال تجربة الشاعر البرتغالي فرناندو بيسوا وكوني قارئة متتبعة له جوهرياً من خلال الأصالة اللغوية الشعرية استخدم سياق كلمة (sau-dade) في البرتغالية في قصائدة بشكل مترابط وإن اختلف المشهد والزمكان، وهي كلمة تعني إحساس بالغياب والحنين والفقد مجتمعة في لحظة واحدة معاً، وهذه الموضوعية المقصودة كانت من بيئته الاجتماعية المختلفة كفرد وجماعة داخل بوتقة تجمع مشاهد متعددة داخل كلمة واحدة، هي ما تسمى شفرة المكان، و هذا ينطبق على كلمات خاصة في التركية تشير إلى حزن جماعي يغمر مدينة بأكملها، وهو شعور يختلف عن الحزن الفردي في قوته وامتداده،و لا توجد كلمة عربية قادرة على احتواء هذا المزيج الدقيق من اللغات الأخرى، هنا اللغة تتحول إلى فضاء كامل محدد جغرافياً بالطبيعة الإنسانية واشتباكاتها الداخلية والفكرية أكثر من كونها مجرد وسيلة تواصل، ومهما كان المترجم يستطيع أن يشرح ويضيف ويطيل الجملة لكنه لا يمنح القارئ التجربة نفسها التي يعيشها المتحدث الأصلي، خصوصاً في الشعر يظهر هذا التحدي بوضوح، فقصيدة الهايكو اليابانية التي ترتكز على تكثيف شديد يجعل من لحظة طبيعية بسيطة كوناً كامل من الإيحاء، و حين تنتقل إلى العربية تتحول إلى نص جديد يحمل معناها الظاهر لكنه لا يعيد إنتاج الإيقاع ولا الأفق الروحي الذي ولدت فيه.

ما لا يمكن ترجمته يظل علامة على أن اللغة كيان يحمل ذاكرة أمة ورؤيتها، وعند هذه النقطة يدرك القارئ أن الترجمة مهما بلغت دقتها تظل فعل إعادة كتابة لكونها فعل ثقافي يفتح للنص حياة ثانية و كل نص يعبر إلى لغة أخرى يحتفظ بجذوره الأولى ويكتسب في الوقت نفسه ملامح جديدة من البيئة التي تستقبله، هذا العبور يمنح القارئ فرصة لمعايشة فكر عالمي داخل لغته الخاصة ويكشف له أثر التباين بين الأصل والنسخ وتفكيكه، ومهما حاولنا التقارب فالنص المترجم يحمل هوية مزدوجة, فهو ابن الثقافة التي وُلد فيها وضيف على الثقافة التي تبنته و تعمل هذه الازدواجية على منح النص عمقاً إضافيا تجعل الترجمة مجالاً لتأسيس معرفة تتشكل في المسافة بين لغتين، لكن في هذه المسافة يولد خطاب جديد يوسع أفق القارئ ويعيد تعريف حدود اللغة نفسها،ومع ذلك الضياع في الترجمة يكشف حدود الممكن والتقارب والتظاهر بالتعدد اللغوي و يكشف حدود الصورة، وبين هذين المسارين يتشكل وعي جديد باللغة حيث تتحول الترجمة إلى ممارسة معرفية قادرة على إعادة إنتاج النصوص داخل سياقات جديدة ويتحول التعدد اللغوي إلى تجربة تُظهر تنوع الأصوات وتداخلها، من هذا العبور يولد فضاء خصب للفكر ويجد القارئ نفسه أمام نص يفتح أكثر من أفق ويجمع بين ثقافتين في حضور واحد، ويظهر الضياع في الترجمة كأثر ثقافي يعكس حدود اللغة في انتقالها، وهذا التظاهر بالتعدد اللغوي يتشكل كأثر اجتماعي يعكس رغبة الكاتب في استعارة سلطة لا يملكها لكن المساران يكشفان أزمة معاصرة في التعامل مع اللغة، الأولى أزمة حضور النص في سياق جديد، والثانية أزمة صورة يسعى الكاتب إلى صناعتها, والنص يحقق قيمته عندما يتمكن من بناء خطاب متماسك داخل لغته وعندما ينجح في إعادة إنتاج الأفكار بصورة حية تتجاوز الزخرفة، تبقى الترجمة الناجحة قادرة على أن تعيد كتابة النص في روح جديدة، والتعدد الحقيقي يمنح النص أكثر من منظور دون أن يضحي بوحدته اذا استخدمت في شكل يظهر اللغة ولا يزيفها او يشوهها، عند هذه النقطة يتحول العبور بين اللغات إلى مساحة إنتاج للمعرفة أكثر من كونها واجهة شكلية خالية من جماليات الشعور اللغوي.

الصورة من أعمال الكاتبة

*كاتبة ومترجمة- الرياض

نقاشات

حين تصنع الكتب ملامح الإنسان.

صابرين ناصر البحري

ليست القراءة مجرّد مهارة أو وسيلة لاجتياز المعرفة، بل هي فعل وجوديّ يوازي معنى أن يكون الإنسان إنسانًا. فمن خلالها يتجاوز العقل حدوده الطبيعية، ويغدو قادرًا على أن يحاور الماضي ويتنبأ بالمستقبل، وأن يبني لنفسه هويةً تتشكّل من تفاعل النصوص والمعاني، لا من صدف الميلاد وحدها.

وقد عبّر أحمد أمين عن هذا المعنى حين قال: "الكتاب هو الصديق الذي يتيح لك أن تنظر إلى الحياة بعيني غيرك، وتفكر بعقل غيرك، وتشعر بقلب غيرك." إنها ليست أوراقًا وحروفًا، بل وسيلة لتوسيع حدود الذات لتصبح أرحب من حدود التجربة الشخصية.

إن الهوية، في جوهرها، ليست حجرًا صلدًا يُختزن في الذاكرة الجماعية، بل هي كائن حيّ يتغيّر مع كل كتاب يُقرأ، ومع كل فكرة تُستوعَب، ومع كل ثقافة تُستقبَل أو تُرفض. ولذا فالقراءة ليست ترفًا يُضاف إلى اليوم، بل شرطًا أساسًا لفهم الذات وموقعها في العالم، ولتأسيس حوار بين الإنسان وموروثه من جهة، وبين الإنسان والآخر من جهة أخرى. وهنا يحضر عبد الوهاب المسيري ليؤكد: "الإنسان ليس كائنًا مغلقًا على نفسه، بل مشروع مفتوح يتجاوز ذاته باستمرار."

في زمن التحولات المتسارعة – حيث تفرض التقنية والرقمنة إيقاعها على تفاصيل الحياة – يتضاعف سؤال القراءة: هل ما زالت قادرة على صيانة العمق في عصر السرعة؟ هل تستطيع أن تمنح الإنسان جذورًا وهو يلهث وراء صور عابرة؟ إننا أمام تحدٍ ثقافي وفلسفي لا يخص النخبة وحدها، بل يعيد تعريف علاقتنا جميعًا بالمعرفة، وبالحرية، وبالمعنى ذاته.

ولعل غازي القصيبي كان يستشرف هذا القلق حين كتب: "إن أخطر ما يواجه المثقف العربي أن يتحول من قارئ للكتاب إلى قارئ للشاشة، ومن باحث عن المعنى إلى مستهلك للسطح." فالمسألة ليست أداة القراءة، بل روحها ومعناها.

هذا المقال ليس محاولة لتكديس المفاهيم، ولا لتأريخ التجارب، بل هو سعيٌ إلى التفكير في القراءة بوصفها أداة لإنتاج الهوية، وحصنًا في وجه الاستلاب، وجسرًا بين الأصالة والمعاصرة. هو حوارٌ مع الذات أولًا، ومع النصوص ثانيًا، ومع أسئلة الوجود أخيرًا.

وإذا كانت القراءة بهذا المعنى مشروعًا وجوديًا، فإنها أيضًا مقاومة صامتة ضد التفاهة. وقد قال علي الوردي: "الأمة التي لا تقرأ تموت قبل أن يأتيها الموت." فالكتب هي التي تبقي على جذوة العقل متقدة، وتحمي المجتمع من الاستسلام للسطحية.

القراءة ليست ترفًا فرديًا ولا عزلة نخبوية، بل هي فعل جماعي تتأسس به الحضارات. من بيت الحكمة في بغداد إلى مكتبة في قرطبة بالأندلس، إلى الجامعات الحديثة، كانت القراءة دومًا هي الخيط الذي يشدّ على نسيج الثقافة، ويمنحها القدرة على الاستمرار عبر العصور. وقد لخّص الجاحظ هذا الدور حين قال: "الكتب وعاءٌ ممتلئ علمًا، ليس في الأرض شيء أوعظ ولا آنس منها."

إن أخطر ما في عزوف المجتمعات عن القراءة ليس فقط ضياع المعرفة، بل ضياع الذاكرة. فكما يقول اليافعي: "من ضيّع كتابًا فقد ضيّع عمرًا."، لأن الكتب ليست مجرد أوراق، بل مستودع للخبرة الإنسانية. وكل مجتمع يقطع صلته بالكتب، يقطع صلته بماضيه ويترك نفسه نهبًا لفراغٍ لا يرحم.

هنا يصبح السؤال الجوهري: كيف نعيد للقراءة مكانتها في عالمٍ يتغير كل لحظة؟ ربما يكون الجواب في إعادة صياغة علاقتنا بها لا كموروث ثقيل، بل كممارسة يومية تحرّر الإنسان وتوسّع أفقه. القراءة ليست واجبًا مدرسيًا، ولا وسيلة لتحصيل شهادة، بل هي طقس إنساني يوقظ الروح ويمنحها أسباب النهوض.

وحين نفكر في المستقبل، ندرك أن القراءة ليست فقط أداة للمعرفة، بل وسيلة لتشكيل إنسان أكثر وعيًا بالحرية، بالكرامة، وبحقه في أن يكون صانعًا للمعنى لا مجرد متلقي له. كما أشار طه حسين: "اقرأ، فإن القراءة حياة العقل، والعقل هو حياة الإنسان." فالإنسان الذي يقرأ، لا يعيش بعقل واحد، بل بعقولٍ متعددة؛ يقرأ التاريخ فيفهم الحاضر، ويقرأ الفلسفة فيتساءل عن الغاية، ويقرأ الأدب فيتذوّق جماليات الحياة.

وخلاصة القول: القراءة ليست ترفًا ولا تكرارًا لطقس قديم، بل هي شرط أساسي لنهضة الفرد والأمة معًا. هي التي تحفظ وعينا من التبعثر، وتبني في داخلنا إنسانًا جديدًا في كل مرة نفتح فيها كتابًا.

قصة قصيرة

القطة السوداء !

أحمد الدويحي

ظلت رفعة زوجة الشاعر مفتاح، ترضى بما قسم الله لها مع زوجٍ فقير، لا يملك شيئاً من حطام الدنيا، إلا لسان ذربٍ، يتسول بما يفيض به من بذاءات، يدلقها في المناسبات، ليحصل على مكافأة، يجود بها عليه الخلق، كمؤنة للشتاء والصيف، تكفي زوجة حولاء العين اليمنى، لم تنجب له ولداً ولا بنتاً، وقطة سوداء تربض كل ليلة جوار موقد النار، ولكن الزوجة القانعة بما قسم الله لها، تُفجع كل صباح بسرقة عجينة، تضعها إلى الصباح، لتختمر في الموقد، ولما تكررت مرات السرقة، باحت لمفتاح بما عكرّ صفوها، وأزعجها، فقال لها غير مصدق:

- من ذا الذي تسول له نفسه، ولا يجد غير عجينتك ليسرقها؟

حام السؤال ببالها طويلاً، وحينما لم تجد من تشك به، صارحته:

- أظنك أنت السارق، حينما تعود في أنصاف الليالي جائعاً، فلا تجد شيئاً تسد به جوعك غير عجينتي؟

ضحك مفتاح طويلاً، ولأنه عريق في صنع المقالب، وإلقاء الشعر الفاحش، والنكات للناس، أراد أن يبرئ نفسه من تهمة زوجته، لئلا يلتصق به عار جديد، فأقترح على زوجته رفعة، أن تضع عجينتها في الموقد، وتسمى عليها بالمعوذات، وتضع خميرة بالماء بدون تسمية، وظل تلك الليلة يراقب العجينة والخميرة، ولما انتصف الليل سمع طرقاً على باب بيتٍ صغير كالكهف، وفجع لما شاهد قطتهم السوداء، تنهض من مكانها بجوار الموقد، وتتخذ شكلاً مغايراً، وتفتح لأنثى أخرى قادمة، فسألتها الأخرى بلهفة:

- لماذا تأخرت، الجماعة في انتظارك؟

ردت القطة السوداء:

- راعية البيت، سمّت على العجينة، ولم تسمّ على الخميرة!

- هات الخميرة ودبري أمرك!

ردت الأنثى القادمة

مفتاح لم يفش في النهار سر القطة السوداء، ولم يفض إلى زوجته رفعة بأمر عجينتها، ولكنه طلب منها، زيادة في العشاء، لأن ضيفاً عزيز سيقاسمهما عشاء الليلة، ففعلت، ولكن الضيف المنتظر طال انتظاره. ولما يئست رفعة قدمت العشاء، فكانت هي ومفتاح، وثالثهما قطتهما السوداء، وسرعان ما خاطبها مفتاح، قائلاً:

- يا ضيفنا، تفضلي حياك الله!

تلاقت الوجوه، وساد الخوف والصمت، فأردف مفتاح:

- عليك أمان الله.. ولنا منك مثله.. تفضلي للعشاء.

هزت القطة السوداء ذيلها، وقذف لها مفتاح بنصيبها من العشاء، فصارت رفيقة له، ترافقه حضور المناسبات، وتبقى معه متى طاب لها البقاء، وتلوذ به في طريق عودته، تتمسح به حتى تدخل معه بيتاً كالكهف، تربض بجوار الموقد، وتنام إلى الصباح لا يطرق لهما باباً، ودون سرقة عجينة رفعة.

ذات ليلة، كان عائدا من سهرة، يعبر الوادي بجوار غدير ماء، تحفُ به الأشجار العالية من كل الجهات، ليمضي إلى بيتٍ كالكهف في الجبل، فوجئ بالقطة السوداء، تسأله بصوتٍ غاية في العذوبة:

- مفتاح تسمع؟

- ماذا أسمع؟

- غناء الجماعة وطربهم؟

- لا أسمعهم.. ولكنك تعرفين أني أحب الغناء والطرب؟!

كانت في هيئة أنثى بارعة الجمال، تقوده بنشوة إلى بابٍ واسع، قدّ من صخر في الجبل، فُتح لهما بمجرد وصولهما، رحُبّ بهما بشدة رجل، يجلس فوق كرسي من المرمر، في فمه مسواك لأسنانٍ بيضاء، كان جمع كبير، خليط من جماعة القطة السوداء، يرقصون ويغنون معاً رجالاً ونساء، يندمج مفتاح معهم بسرعة في حالٍ من بهجة، لم يخرج منها أبداً.

شرفة الإبداع

وأنتِ هنا، هل تجيئينَ أكثرْ.

علي بافقيه

وأنتِ هنا
هل تجيئينَ أكثرْ
فتلتصقينَ بقلبِ المُحبّ
وتُعطينَ دَفْقةَ ماءٍ
ورُمّانةً
***
وأنتِ هنا
شجرٌ أخضرٌ يبتسمْ
ويذهبُ في الصمت
***
وليس يراكِ سوايَ
جميلةْ
خُلقتِ شآبيبَ نَهْرٍ
على عطشِ القلبِ
شآبيب ماءٍ على القلبِ
***
وأنتِ هنا يحضرُ البرقُ والرعْدُ
والأُفْقُ يُرسلُ
هذا الهواءَ الحميمَ عَلَيّ
كأني الوحيدُ على صفحةِ الكونْ
***
أرى مَطَرًا لا يراه سوايْ
***
لماذا تكونينَ أنتِ الوحيدة في الفتياتِ
تجوبُ بساتينَ قلبي و أشجارَهُ
وتفتَحُ أبوابَهُ ونوافِذَهُ
وتَسُدّ الطريقَ على أجملِ الفتياتِ
وتَذهبُ في الصمت

أحمد البوق

بين آهاتٍ وآها.

أرانـــي بـيـن ثَـالِـثَـةِ الأثـافـي
وبـيـنَ الـمـروتـيـنِ كـمـشـتَـهَـاهـا
ولـو خُـيِّـرتُ فـي الـحـالـيـن إنّـي
أمـيـلُ إلـى إخـتـيـار لـظـى جَـوَاهـا
وإنّـي حـيـن أحـسُـوهـا صـريـعٌ
وأكـثـرُ حـيـنَ تَـمـنَـحُـنـي رِضـاهـا
ولـي فـي كُـلِّ شـاردةٍ مُـقَـامٌ
فـتُـعـطِـيـنـي عـلـى مَـهَـلٍ مَـدَاهـا
ولـو أنّ الـغـرامَ بـنـا تَـجـلّـى
لـعـانَـقـتُ الـغـرامَ كـمـا أراهـا
ولـكـنّـي أمـوتُ إذا رَمـتـنـي
وفـي ألـحـاظِـهـا يَـبـدو سِـواهـا
وأحـيـا حـيـنَ تَـحـضُـنّـي شـهـيـداً
وأُبـعَـثُ بـيـنَ آهـاتٍ وآهـا
ولـو طـافَ الـزمـانُ بـنـا لـعـادت
تُـعـلّـلُ مُـهـجَـتـي شَـهـداً صِـبـاهـا
ولـكـنّـي عـلـى مَـهَـلٍ كَـبِـرتُ
ولـم يَـكـبُـر سـوى عِـشـقـي هَـواهـا

شرفة الإبداع

نصوص.

حامد بن عقيل

[صدأ]

تقف وحدك
عراء
هذه الأرض
هذه الخطوات
وجعك
صلواتك
موتك الوشيك
لا شيء في هذا العالم.

[هشاشة]

كيف تبدو؟
بعد عام
بعد أزمنة سحيقة
ما الذي سيدل عليك
ليس وجها
ليس جسدا
ليست روحا
كل ما يزول لا يعنيك الآن.

[مآلات]

في الصورة
فـي المنعطفات والمطر والدماء والمعطف والسـلالم
واللـون والجريـدة والمقصـف والمقصـات والحافلة
والصدر والحيلولة والحلول والفلسفة والتشرد والكأس
والشهداء والتصوف والحقيقة والفنجان والأحمر
في القيلولة
والقصيدة

[زوال]

التاريخ ينمو
بلا حدود
وبلا توقعات
ينمو
ثم البيت الذي تهدّم على ذكريات العائلة
ثم القنابل التي لم تنفجر بعد
ثم الأرصفة التي هجرها الشعراء
ثم خبر في صحيفة المساء
هشاً ومهزوزاً وحبره يبكي

[إرشاد]

الحيُّ يريد أن يغنّي
الميّتُ يتعثّر فيك
عليك أن تنجو
عليك أن تعود للكينونة الأولى
قبائل وحروب طاحنة ونخيل بلا معنى
لم يعد هنا سوى القطيع
سعادته أبدية
ليكن حزنك فريدا كزمنك
عليك أن تنجو بأي طريقة ممكنة

شرفة الإبداع

قصة قصيرة

وثيقة لعرس قديم.

موضي العتيبي

انطلقت زغاريد النساء بعد الفجر، يوم العرس قد حان. الحي متعطشُ للفرح.

تخرجُ جارتي لتنشر غسيلها على السطح، أمها ترصّ تمر الاحتفال مع والدها في أطباق بلاستيكية، أطفالها يلاحقون سيارة البلدية ويرجمونها بالحصى؛ غير عابئين بالفرح القادم.

النساء من فرط سعادتهن قد استعددن من الليلة السابقة، خضبن أياديهن بالحناء، وغسلن شعورهن بالمشاط الأحمر، فغدت تفوح منهن روائح عطرة.

استترتُ في بيتي بأسى، انغمستُ في لجة الأحزان السابقة واللاحقة، فقدتّ منذ زمن أملي، حتى أحلامي بالاستقرار تبعثرت.

أرقب العوائل وهي تتمشى بحبور في الشارع، أعرف أن أفراحي شحيحة، إذ لم انخرط في أفراحهم، حتى نسيت كيف يفتح الانسان قلبه للغناء، والتصفيق.

قبل أربع سنوات كان عرس إحدى الجارات، فيها تلقيت خبر وفاة أبي، ربما صدمتني فكرة اختلاط الحزن بالفرح، ولم أعد أشعر بالأمان فيها، فبقيت رهينة الصدمة.

كبلني الفقد، حتى فقدت إحساسي بالحب، التعاطف، أعرف أن لكل امرأة أحزانها الخاصة، لكن فرحهن واحد، يبتسمن لكلمة، لقصيدة، يشبهن العناقيد التي تضيء البيوت.

أليست الأفراح باب للتحرر أيضًا؟

هذا العويل سيخرج لابد، صرتُ مرغمة على المقاومة، ربما سأتقبل خسارتي المتوقعة في ليلة العرس، من يعرف!

في العصرية، وباتجاه بيت العروس، تتمشى النساء مع حكاياتهن البيضاء، تبرق من العيون المبرقعة، ويفتحن أبوابهن للجيران، يقعدن في الأحواش المفتوحة الأبواب، يتكئن وهن يشربن قهوتهن، زادهن الثقة المتبادلة. تدور الأحاديث بينهن باسترسال عن عرس الليلة المنتظر، يتبادلن آخر فنون الموديلات المستقى من كتالوج الجارة المتمدنة، تعطشهن للجمال يظهر في كرتة ملابسهن.

تسأل إحداهن: من ستحضر من النسوة؟ بتجهم تلفظ السؤال، بينما الأخريات قد تجمدن في مكانهن، تدخل أخرى من الباب فتجيب بلهاث عن حضوري، فينفجر بعد ذلك المكان بالضحك المكتوم، لم تنس السائلة معركتها الخاسرة معي حين أعطبت إحدى فساتينها غيرة.

أدخل لأول مرة بعد غياب، توقفت؛ مندهشة وكأنني أراهن لأول مرة، تجمدت من مبالغتهن في الفرح، هن بالمقابل تركن ما بين أيديهن، ومسحن ضحكاتهن، ووقفن يحيينني، أخرسني هذا الحب.

أجلس بتوتر في حوش العرس، أنظر لطفلة تقف أمام الخياطة، بفرح تهز فستانها الواسع، تخرج من حقيبتها إبرة وخيط، لتضيّق الفستان على جسمها، ثم مسدت شعر الطفلة بحنان.

بعد السلام، واهتزاز الفناجين، مالت عليّ إحداهن قالت: "لم أفرح في ليلة زواجي" كانوا قد ساقوها دون علمها إلى غرفة الزوج، تشيعها الزغاريد.

النافذة مفتوحة، ألمح العروس في غرفتها تمد يدها في الهواء لتكتشف لأول مرة نقوش حنائها، أمها قد أجلستها على كرسي كبير، يحمل هذا الجسد الصغير الذي لازالت تلاعبه أحلام الطفولة وبراءتها.

يُركب الرجال عناقيد الضوء على البيوت، يوقد صاحب العرس ناره، يطبخ الشاي على مهل، تتصاعد أبخرة القهوة في أيادي الرجال الذين يحملون فناجينهم المهيلة.

ضجيج الفرح في حوش النساء يكبر، تصل لمسامع الرجال أغاني رقصهن، يتلصص عليهن بعض ضعاف النفوس الذين تحركهم شهوة الفضول، يرون تمايل الرؤوس، وتراقص شعور النساء الذي يتلاعب بها الهواء. تحضر أم سعد لدق الطبل، تغني أغنية الأعراس ومباركين عرس الاثنين، وسط ضجيج الأطفال الذين يعسون دكة الرقص، يشمون عرق الفرح من رقاب النسوة، اللواتي تملكتهن نشوة التمازج مع دق الطبول، العروس مطرقة رأسها، ترتعد أصابعها من فكرة العجن القادمة، لازالت خبزتها طرية، لم تختمر بعد، نضجت أولًا حديقتها استعداداً للقطف.

أمها تدور عليها بالبخور، تحصنها بآيات من القرآن، وتنفث في وجهها، تتوافد النسوة للسلام على العروس، يباركهن هذا الفرح، ترى العجائز في فرح البنت، أُنسًا ينسيهن عناء السنين، تطفح غيرة بعضهن من الذهب الذي يثقل يد العروس، تطبع إحداهن على خدها قبلة رطبة لا تعرف الخشونة. عسل اللحظة يقطر من عيونهن وهن يرين زفة الرجال، يشاهدن العريس يتبختر وسطهن، مارًا على جلستهن في الحوش. تدخل أمه وأخواته من خلفه، تسبقهن الزغاريد. أنظر للفرحة الغامرة في الوجوه، أبتسم، أُسمع طبل ام سعد يلهب الحضور، وأغنية " طبت اللي طيبها من طيب أهلها" يصدح، وأنا وسط هذا الجمع أرقص.

السرد البعيد

راحة الإنسان (سيزيف).

حسن النعمي

بحسب الميثولوجيا الاغريقيَّة فإنَّ (سيزيف) كان رجلًا ذكيًا وماكرًا جدًا؛ حيث استطاع أن يخدع إله الموت (ثانتوس) حين طلب منه أن يجرب الأصفاد والأقفال، وما إن جربها حتَّى قام (سيزيف) بتكبيله، وحين كبله منع بذلك الناس أن تموت، فعاقبه كبير الآلهة بأن جعله يحمل صخرةً من أسفل الجبل إلى أعلاه، فإذا وصل القمة تدحرجت الصَّخرة مرةً أخرى إلى الوادي، فيعود إلى دفعها إلى القمة، ويظل هكذا حتى الأبد، فأصبح بذلك رمزًا للعذاب الأبدي.

*****

والسُّؤال الذي تطرحه أسطورة (سيزيف) هو سؤال الجدوى أو سؤال المعنى الغائب؛ إذ إنَّ قلق الإنسان يكمن في بحثه في الفراغ عن معنى غائب، وتسقط معها جدوى تكرار الفعل الذي يؤدي إلى النَّتيجة نفسها!

الكاريكاتير المصاحب لهذا المقال، ليس مجرد صورةٍ تعبيريةٍ كيفما اتفق، بل هو مقصودٌ لذاته، إذ إنَّه سؤالٌ مشرعٌ على الأسطورة نفسها: هل الإنسان بحاجةٍ إلى تكرار الفعل حتى يعبرَ عن إنسانيته، أم أنَّ عليه أن يبدعَ ويتجاوزَ الفعل اليوميَّ؟!

(سيزيف) وجد في الرُّوبوت ما ينقذه من شغله الشَّاغل وهو دفع الصَّخرة، وتفرَّغ للراحة والتَّأمل وربما الإنتاج، والسُّؤال الذي لم يسأله (سيزيف) هل هناك وسيلةٌ للتَّخلص من عذاب الآلهة (رمز سيرورة الحياة) دون المساس بحكمها؟ فالرُّوبوت يتولى الفعل دون الإحساس بالعذاب، فهو منزوع القلق الوجودي الإنساني تمامًا.

والسُّؤال البليغ: هل يطمئنُ الإنسانُ إلى تجريده من مقومات شخصيته الإنسانيَّة: قلقها، وجدوى وجودها، وإحساسها بوقع الحياة من حولها؟! فالرُّوبوت هو العذاب الأبدي الذي فرضه الإنسان على نفسه.

التكنولوجيا الحديثة من الروبوتات تستعير ذكاء الإنسان من الإنسان؛ ليصبح الذكاء الاصطناعي هو مستقبل الإنسان، لست متشائمًا عندما أقول: إنَّ رحلة (سيزيف) مع الصَّخرة لم تنتهِ، بل أخذت شكل الإقصاء، ونزعت السَّيطرة على الفعل من الإنسان إلى الآلة، مع تشييء الإنسان، وأنسنه الآلة!!